الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الرسالة

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
تصدرها
الثقافة والإرشاد القومي

تليفون ٤٢٧٩٤ ٥٣٩٤٠

في هذا العدد

الاشتراكات :
١٥٠ قرشاً سنوياً
يضاف أجر بريد من خارج ج. ع. م.
الإدارة :
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد : محمد فريد - القاهرة .

العدد ١١١٥ - الخميس ٢٦ محرم ١٣٨٥ هـ - ٢٧ مايو ١٩٦٥ م - السنة الثانية والعشرون

فضل الأدب على وحدة العرب

بقلم: أحمد حسن الزيات

-٣-

علة العلل في شقاء العرب وبلاء العرب هي انجلترا ما في ذلك شك . ولست في هذه الكلمة بسبيل أن أشرح هذه العلة ولا أن أصف ماجرته علينا من انحلال وتأخر ، ومن تخاذل وتواكل ، ومن انقسام وفرقة . وحسبي أن أشير الى وعدين اثنين من وعود الاستعمار الكثيرة قطعهما الشرق البريطاني على نفسه فكانا نكبة على الشرق الأوسط كله : وعد كاذب وعده «مكمهون» للعرب سنة ١٩١٥ وكان من نتائج كذبه مهزلة الانتداب ، ووعد صادق وعده « بلفور » لليهود سنة ١٩١٧ فكان من نتائج صدقه مأساة فلسطين . رأت انجلترا وهي تصلى نار الحرب العالمية الأولى أن تستفيد من تمرد العرب على طغيان الترك فوعدت شريف مكة الحسين بن على اذا ناصر العرب الحلفاء أن تتوجه ملكا على دولة عربية موحدة تجمع الحجاز وسورية ولبنان وفلسطين والعراق . وكانت فكرة الجامعة العربية بعد اعلان الدستور العثماني وما أعقبه من سفه الاتحاديين منتجع الخواطر ومهوى القلوب في كل قطر من أقطار العروبة . فصدق زعماء العرب الطيبون هذا الوعد ؟ وحملوا نصيبهم من أوزار الحرب ، وأخرجوا الجيوش التركية من بلادهم بالسيف . وانتصر الحلفاء ، وتبوأ قائد الثورة العربية فيصل بن الحسين عرش الأمويين في دمشق . وفي الثالث والعشرين من شهر أكتوبر لسنة ١٩١٨ احتفل العرب برفع علمهم المربع الألوان في الساحة التي قتل فيها شهداؤهم . وكان للأدب في هذا المهرجان وفي جميع البلدان هتاف بالنصر وفرح بالاستقلال وابتهاج بما من الله عليه به من تحقيق أحلامه وتصديق أمانيه . وتجاوبت في الصحف وعلى المنابر شدوات الشعراء وسجعات الخطباء تحيي المجد العائد وتبارك العهد الجديد . نختار شيئا منها على سبيل المثال .

قال فؤاد الخطيب من قصيدة مطلعها :

حي الشريف وحي البيت والحرما … وانهض فمثلك يرعى الحق والذمما
يا آل جنكيز ان تقل مظالمكم … على الشعوب فقد كانت لهم نعما
فالظلم أيقظ منهم كل ذى سنة … ما كان ينهض لولا أنه ظلما
فمن يكن من أباة الضيم فى صمم … فليسمع اليوم صوتا يحسم الصمما
فقد تكلم صوت الثار مرتفعا … من الحجاز يشق البيد والأكما
يا ابن النبى وأنت اليوم ناصره … قد عاد متصلا ما كان منفصما
والتف حولك أبطال غطارفة … شم الأنوف يرون الموت مغتنما
ايه بنى العرب الأحرار ان لكم … فجرا أطل على الأكوان مبتسما
من ذلك البيت من تلك البطاح على … ذاك الطريق مشت أجدادكم قدما
لستم بنيهم ولستم من سلائلهم … ان لم يكن سعيكم من سعيهم أمما
الى الشآم الى أرض العراق الى … أقصى الجزيرة شدوا واحملوا العلما

وقال خير الدين الزركلى من قصيدة يبكى فيها الشهداء ويذكر الثأر لهم :

نعت لغة العرب من أحكموا … لسان قريش وتبيانها
وناحت على من بنوا عزها … وأعلوا بما أثلوا شأنها
أبى السيف الا انتقاما لهم … وخاف على الضيم خسرانها
أثار بنى هاشم فى الحجاز … وأنطق فى القبر حسانها
كتائب هبت تلبى الدعاء … وتطوى القفار وكثبانها
برمح يرن وعضب يئن … ينبه فى الشرك وسنانها
هو الثأر أدركه الثائرون … وأشجى فروقا وسلطانها

وقال العاملى صاحب الحماسيات من قصيدة :

أجل بزغت فى الشرق شمس الحقائق … برغم العدى والمزعجات الطوارق
غداة انتضى العضب المهند فيصل … بكل كمى رابط الجأش صادق
لعمرك ما العرب الكرام يهولهم … صليل المواضى أو دوى البنادق
ولا راعهم ماجرعوا من مرائر … وقد نصبت قدما حبال المشانق

وقال الزهاوى من قصيدة (النائحة) :

وجاءت خيـــول العرب تعدو وراءها بمقـــربة للانجليز خيـــول
هنالك أهل الشام صاحوا وكبروا وكبر أعـــلام بهـــا وسهول
وكان لأخذ الثأر قد ســار ضيغم له فى مغـــار العابثين شبول
أغر كريم الأصـــل من فرع هاشم فطـــاب له فرع وطاب أصول

وقال رشيد أيوب من شعراء المهجر :

من أقاصى الروم نهديك الســلام مع نسيم الســحر
يا شريفـــا كلما ناح الحمـــام فوق غصن الشجر
صاحب السيف الصـــقيل المستهاب فى دياجى المحن
أنت من قـــوم لهم تعنـــو الرقاب من قـــديم الزمن
خضـــتها حربا على البـــاغى تدور بكمـــاة أســـد
وتركت الترك أصـــحاب الفجور عبـــرة للأبـــد
فأدر يا أيهـــا الســـاقى الكئوس حان وقت الطـــرب
واســـقنا من خمرة تجلو النفوس من ظـــلام الكرب
واصغ للبلبل ان لاح الصـــباح صاح فوق القضب
فلتعش للعز فى تلك البطـــاح دولة للعـــرب

ولم يشارك الأدب المصرى فى هذه الفرحة العامة ، لأنه كان مصروفا يومئذ الى مجاهدة المحتلين بعد الهدنة : يؤيد موقف الزعماء منهم ، ويمهد للثورة عليهم ، ولأن الأدباء كان هواهم مع الخلافة مراعاة لشعور الكثرة المسلمة ، ومهاواة للأسرة التركية الحاكمة ؛ ولأن المصريين فوق ذلك كانوا يعلمون أن لأعدائهم الانجليز يدا فى ثورة الحجاز وغرضا من نصرة الحسين ، فلم يدخل أدبنا فى ثورة الأدب العام الا بعد أن ضاعت الخلافة وتبلورت النهضة وتوحد العدو واتفقت الغاية .

على أن العرب لم يلبثوا أن عرفوا بعد انقضاء عام واحد على قيام دولتهم بالشام أن وعد الانجليز مكذوب ، وأن عهد الحلفاء منقوض ، وأن الغدر بهم مبيت ، فقد قررت عصبة الأمم ، أو جماعة الذئاب ، أن الأقطار التى انفصلت عن تركيا لما تبلغ الرشد فلا بد أن تقوم عليها وصاية من الدول الكبرى ، فانتدبت انجلترا لفلسطين والعراق ، واختيرت فرنسا للبنان وسورية . وبذلك القرار خرج العرب من ظلم معلوم الى ظلام مجهول ، ومن استبداد فوضى الى استعباد منظم ، ومن سلطان دولة

ضعيفة الى سيطرة دولة قوية . هنالك عصفت النخوة فى نفوس الأدباء وفى رءوس القادة فقطرت الأقلام سما فى هجاء الحلفاء ، وسالت النفوس دما فى واقعة «ميسلون»،، ولكن قدر الله غالب ، والمعتمد على غير الله مغلوب ، فانتقم الصليبيون من العرب ، وانتصر القائد جورو على الملك فيصل ، وتبددت فكرة الجامعة العربية فى صراحة الواقع ، كما يتبدد الحلم الجميل فى حقيقة اليقظة . وهب الشعراء يتفجعون على مسعى أخفق وأمل خاب وملك ما قام حتى تقوض . من ذلك قول الزركلى :

أبكى ديارا خلقت للجمال   أبهى مثال
أبكى تراث العز والعز غال   صعب المنال

أبكى نفوسا قعدت بالرجال   عن النضال
أبكى جلال الملك كيف استحال   الى خيال

ثم نزل فيصل عن عرش بنى أمية فى دمشق ، ليعتلى عرش بنى العباس فى بغداد . فودعه الشعر محزونا على بردى ، ليستقبله مسرورا على دجلة . فالزهاوى يقول مثلا :

انا محبوك فاسلم أيها الملك   ومصطفوك لعرش شاده الفلك
عرش العراق ضمان للعراق وفى   تأييده الشعب والأحزاب تشترك

وكان العرب قد خرجوا من الحكم التركى الأسود ضعفاء فقراء جهلاء فلم يستطيعوا أن يدافعوا الاستعمار الأوربى عن استقلالهم ووحدتهم ، فقسمت فلسطين ، ومزقت سورية ، واحتل العراق ، وأصبحت الأمة العربية كلها من جبل طارق الى خليج العرب حقول استغلال ومناطق نفوذ بين دولتى الاستعمار فرنسا وانجلترا . واقتضت هذه التجزئة أن تقطع بين العرب الأسباب ، وأن يشق على الأخوة التواصل، فلم يعد لهم من قوة ولا جمعة الا الأدب يتعارفون به ويستمدون منه ويجتمعون عليه. ورأى قادة الفكر وصاغة الشعر أن العروبة التى كانوا يرجون لها أن تعود كما كانت شعلة وهاجة فى العالم قد تقطعت بقرار الدول أقباسا كشموع الأطفال لا تقوى على نسيم الريح ولا تظهر فى حلك الليل ، فنقلوا جنودهم وجهودهم من صراع الطورانية الجاهلة فى بغى الأتراك الاتحاديين ، الى كفاح الآرية الجائمة فى جشع السكسونيين واللاتينيين .

فهل استطاع الأدب أن يعقد ما تفكك من العرى ، وأن يجمع ما تفرق من الكلمة ، وأن ينعش ما ذوى من الأمل ، وأن يهيىء النفوس للثورة على هذه الحال ؟ ذلك ما سنحاول الجواب عنه فى مقال تال .

أحمد حسن الزيات

.. أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا !!

بقلم : محمود محمد شاكر

اربعون سنة !! لقاء مفاجيء على غير ميعاد . غرباء جمعتهم الغربة على طريق . نظر بعضهم فى وجوه بعض من بعيد وقريب ، ومر جسد قريبا من جسد ، وتحية يلقيها أحدهم على بعضهم بلا بشاشة ثم يمضى كأنه لايبالى ، ثم يلتفت من بعيد ليجس هذا الجثمان المنتصب بنظرة فاحصة . ثم يعودون مرة أخرى ، فتلتقى الوجوه وتتقابل ، وتتصافح النظرات بالطرف الخفى ، ثم يعرض هذا ويعرض هذا ، ويمضى كل امرىء لطيته فى أرض الصمت . ثم يعودون مرة ثالثة ، فتقبل الاشباح على الاشباح ، فتمتد الايدى ولكنها باقية فى مكانها مسدلة لم تتحرك من موضعها وتقبل الخطا ولكنها تتردد ، فيذهب هذا يمينا ويذهب هذا شمالا . وتنطوى الايام يوما بعد يوم ، وسرعان ما تجلت عنهم هذه الغربة الراغبة المعرضة، وسرعان ما تكشف الاعراض والاقبال عن صداقة بلا مطمع ، وعن مودة صافية بلا كدر . واذا شباب تستفزه جهالة الصبى وغرارة الطباع ، والسنة ترثارا لحداثة عهدها بالابانة عما فى سر قلوبها وعقولها ، وغمرات من الفرح تخوضها بجراة وبلا تردد ، واختلاف واتفاق ، ورضى وغضب ، وصوت يعلو وصوت يهمس ، وليل ينساب فى نهار، ونهار يشق سدول ليل . وآت منقض ينفى الملالة عن ماض منهزم ، ورأى متجهم ينشق عن مرح ضاحك ، واندفاع الى غاية كالسيل الجارف ، وارتداد عنها كمثل لمحة البرق ، ووقار باد تهزه من تحته خفة كامنة ، وطيش طليق يكف من غلوائه أدب وحياء .

يومئذ لقيت **محمد مندور** وسائر اخوانى وزملائى اول ما لقيتهم منذ اربعين سنة ، فى حدائق قصر الزعفران ، مقر الجامعة ، وكلنا غر بادى الغرارة ، وكلنا دون العشرين . ومضت الايام ، وتصرمت الشهور ، ومحت سنة اختها ، وبدأت معالم الطريق تبدو لخطانا من حيث لاندرى ولا نحس . ولكنى كنت أولهم احساسا بطريقى ، واسرعهم ادراكا له، وامضاهم عزيمة على قطعه . وكما التقينا جميعا فجأة فارقت اخوانى فجأة غير متلفت الى وراء ، وغبت عنهم جميعا غيبة طويلة ، غير أخ واحد ، قدر لى وله أن يؤنسنى فى بعض طريقى الجديد برسائله الطوال المتتابعة ، هو محمود محمد الخضيرى ، بقيت لنا فى كتاب القدر سنوات من الصحبة ، لم يكن قد حان بعد حين انقضائها ، ولكنها انقضت هى أيضا بعد قليل بغتة ، ثم سرت فى الطريق الطويل الغامض غريبا ، وحيدا ، منفردا عن ركب الغرباء الاول ! كيف كان هذا ؟ ولم كان ؟ لا أدرى .

ورحل مندور ، وأنا لا أدرى متى رحل ، الى بلاد اعدائه واعدائى ليتزود من علمهم ، وعدت أنا من رحلة فى أرض أجدادى لكى اقيم ذاهلا عن ركب الغرباء الأول ، منقطعا عنهم الى غربتى ، أحمل معولا بعد معول ، أحطم به عن عنقى الاغلال التى طوقتنى بها علم اعدائى الملوث ، وأنسانى طلب الحرية ، والكدح الدائب للخروج من أسر الاوهام ، ذكر الصبا الاول ، وذكر اخوان الشباب ، فلم أعرف عن أخى محمد مندور خبرا يذكر الا فى سنة ١٣٦١ هـ (١٩٤٢ م) بعد أن عاد الى بلاده وبلادى ، فالتقينا على صفحات مجلة الرسالة فى ٢١ من ذى القعدة سنة ١٣٦١ (٣٠ نوفمبر ١٩٤٢) ، حيث كتبت كلمة بعنوان « الطريق الى الحق » ، أردت أن افصل فيها بين معنى « عثرت به » و « عثرت عليه » ، وقلت يومئذ :

« واحب أن أقدم بين يدى كلامى بعض ما أعرفه عن مندور ، فقد كنا زميلين فى الجامعة ، فكان احد الشبان الاذكياء المتدفقين . وان فيه من ثورة النفس ما ارجو أن يبقى على الشباب والهرم ، ثم عرفته بعد مطلعا حريصا على العلم قليل العناد فيما لاخطر له، ثم هو لايزال يدأب الى الحق فى غير هوادة . فكل

هذه الصفات تجعله عندي غير متعنت ولا مكابر • ولكني رأيت الاب انستاس الكرملي قد سلك الى مندور طريقا ، فاندفع كلاهما يطاعن أخاه بعنف لا يهدأ • وانا لا احب أن ادخل بين الرجلين فيما هما بسبيله ، ولكني احرص على أن ادل مندورا على الحق الذي كنا ، ولم نزل ، نميل اليه بكل وجه ، ونسعى اليه في كل سبيل » •

ثم ختمت كلمتي : « واحسبني قد سلكت الى أخي مندور طريق العلم الى غاية الحق ، وهي غايته التي علمه لايعمل الا الها ، وسواء عليه بعد ذلك أكان الحق له أم عليه » •

لم القه يومئذ ، ثم انقطع ما بيني وبينه الا ذكرى وقراءة • ثم التقينا في الفترات بعد ذلك ، فاذا بنا كانا لم نفترق الا ساعة او بعض ساعة • وتمادت بنا الايام ، وكلانا سالك دربا غير درب أخيه ، حتى التقينا على صفحات الرسالة مرة أخرى كما بدأنا في رمضان سنة ١٣٨٤ (٢١ يناير سنة ١٩٦٥) ، في المقالة التاسعة من مقالاتي عنه ، وأرسل الى بكرم خلقه رسولا يذكرني قديم مودتنا التي لم تغيرها الايام ، ولا طول الانقطاع • وكان حقا على أن ألقاه ، ولكن غلبتني عزلتي فارجات أداء هذا الحق ، حتى جاء الحق الذي لايرجىء ، وفارقني صديقي بغتة كما فارقته أول مرة بغتة ، وتركني على رأس دربي وحيدا غريبا ، منفردا عن ركب الغرباء الاول ، لا أجد ما أقوله الا لوعة أرسلها غريب مثلي منذ نحو من ألف سنة ، ظل صداها يتردد بين جبال الشعر وقممها الشوامخ :

ما اسرع الايام في طينا
تمضي علينا ، ثم تمضي بنا

في كل يوم أمل قد نأى
مرامه عن أجل قد دنا

انذرنا الدهر وما نرعوى
كانما الدهر سوانا عنى

تعاشيا ، والموت في جده !
ما أوضح الامر وما ابينا

والناس كالاجمال قد قربت
تنتظر الحي لأن يظعنا

تدنو الى الشعب ، ومن خلفها
مغامر يطعنها بالقنا

ان الأولى شادوا مبانيهم
تهدموا قبل انهدام البنا

لا معدم يحميه اعدامه
ولا يقي نفس الغني الغنى

كيف دفاع المرء احداثها
فردا ، واقران الليالي ثنى

حط رجال وركبنا الذرى ،
وعقبة السير لمن بعدنا

كم من حبيب هان من فقده
ما لم اكن احسبه هينا

انفقت دمع العين من بعده
وقل دمع العين ان يخزنا

كنت اوقيه فاسكنته
بعد الليان المنزل الاخشنا

دفنته ، والحزن من بعده
يابى على الايام أن يدفنا

يا ارض ، ناشدتك أن تحفظي
تلك الوجوه الغر والأعينا

يا ذل ماعندك من أوجه
كن كراما أبدا عندنا

والحازم الراى الذى يقتدى
مستقلعا يندر مستوطنا

لا يامن الدهر على غرة
وعز ليث الغاب ان يؤمنا

كانما يجفل من غارة ،
ملتفتا يحذر أن يطعنا

وينقطع نشيدي ، ويبقى صداه في اذني ، وانا على راس الدرب واقف أتلفت متى اظعن ، وحيدا ، غريبا ، منفردا عن ركب الغرباء الأول• اربعون سنة ، طويت ايامها ولياليها ، كاسرع ما تفتح كتابا ، ثم تقرأ منه أسطرا ، ثم تغلقه على دفتيه ، وتبقى أحرفه تلوح في بيداء مقفرة لايعمرها غير اشباح تجول من الذكريات !

ولكن .. ولكن ما أشد عنف الحياة بنا ! اتفنى بعض المرء ، وتطالبه من فوره أن يزداد تعلقا بالبقاء واقبالا على الاستكثار من أسبابه ! ما أقساها سائقا لايضع عصاه عن نعمه ! هكذا عودتنا ، فأين منها المهرب ؟ والى أين منها المقر ! فتغمد يا صديقى ، قسوة قلبى بعدك :

ولا تلزمنى ذنوب الزمان
فاياى ساء ، واياى ضارا

لا أدرى كيف أبدا ، وقد قطعت هذا الطريق الطويل بين اطلال الفناء ؟ ولكن لا بد من ذلك فى هذا العالم المحير ، وفى هذه الفترة من الاضطراب المبهمة اسبابه وغاياته . ففى يومين متتابعين ، وفى صحيفتين مختلفتين ، قرأت عجبا من العجب ، واذا كان هلاك بعضى قد أفزعنى الى التأمل ، فان هذا العجب قد أفزعنى الى النظر ، ومراجعة أمر مصيرنا ومصير أبنائنا من بعدنا ، فنحن نعيش فى عالم يتربص بنا الدوائر ، وان زعم بعضنا لبعض أحيانا أننا بعض هذا العالم، وأننا على مدرجة انسانية شاملة من التطور . كلا ، بل هو عالم يريد أن يبتلع عالما آخر ، أن يفترسه ، ثم يقضقضه ، ثم ينهشه ، ثم يبتلعه ، بضعة بعد بضعة ، والشاة بعد الذبح لا تألم السلخ فكيف تألم لمضغ لحمها بين أنياب حداد !

وأبدأ القصة ، ففى يوم الاحد ٢٥ من ابريل سنة ١٩٦٥ ، نشر الاستاذ أحمد الصادى محمد ، فى صحيفة الاخبار رسالة من الاستاذ الحمزة دعبس ، وكيل نيابة المخدرات ، ضمنها المطالبة باعادة حكم الله سبحانه فى محكم كتابه ، بقطع يد السارق ، وبعد أيام ، نشر الاستاذ الصاوى فى يوم الاحد ١٥ من المحرم سنة ١٣٨٥ (١٦ مايو ١٩٦٥)من الاستاذ « **ماهر سامى يوسف** » . وكيل نيابة الجيزة الادارية جاء فيها ما يلى بنصوصه ، بعد ذكر السبب الذى دعاه الى الكتابة :

« كما انى أبادر فأذكر أننى أوثر أن أتعرض للموضوع من وجهة النظر القانونية ، دون الوجهة الدينية ، معترفا أننى لا أملك أن أزعم أن لى بها الماما كبيرا . وأسوق ردى فيما يلى :

« أولا : ذكر الاستاذ الزميل أن جريمة السرقة قد ذاعت وانتشرت وتفاقم امرها . ثم ان العقوبات السالبة للحرية ، لم تعد تجدى نفعا فى الحد من انتشار هذه الجريمة أو ردع مرتكبيها ، ومن ثم أصبح متعينا انفاذ حكم الشريعة الاسلامية الذى يقضى بقطع يد السارق ، اذ أن هذه العقوبة ، فى تقدير الزميل، جديرة بأن ترد كل نفس عن مقارفة السرقة فضلا عن انها كفيلة بردع السارق ، وأحسب أن الاخ الزميل يتفق معى أن العقوبة لم تصبح فى وقتنا هذا أداة انتقام من الفاعل ، بل صارت وسيلة لتقويمه ووقاية المجتمع منه . وتأييدا لمعنى العقوبة هذا ، تجد التشريعات الجنائية الحديثة ، تفرد علما مستقلا ، هو علم العقاب ، يعنى ببحث اهداف العقوبة واوصافها وأنواعها ، متكاملا مع علم الاجرام الذى يتفرع على دراسة نشأة المجرم ، وظروف حياته ومقوماته الشخصية .

« ومن ذلك نخلص أن هذه التشريعات (كذا) لم تعد تنظر الى الفاعل نظرة عداء ، تحاول ان تنقض عليه بمنطق السلطة والقوة الغاشمة ، تسومه صنوف العذاب والانتقام ثمنا لنشاطه الاجرامى ،بل اصبحت تعامله كمريض ، وتجعله محل دراسة واعية ، واختبار دقيق ، متوسلة بهذا الى اصلاحه ووقاية المجتمع منه . ومن ثم لايكون مقبولا اليوم، ان نجرى محاولة نرتد بها بتشريعنا وما وصل اليه من تطور ، الى الوراء ، متجاهلين كل الدراسات الجادة المخلصة التى تبهت الى غاية العقوبة ، والقصد من توقيعها ، والطريقة التى تنفذ بها » .

هذه هى (الاولة) بنصها على سقم عبارتها وفسادها . وهذا الاستاذ قد أوهمنا فى أول الامر انه سوف يتعرض للموضوع من وجهة النظر القانونية ، فكان حسبه اذن أن يذكر فى مقابل حكم الشريعة بقطع يد السارق ، حكم القانون فى شأن السارق ، فيذكر الناس بأن حكم القانون فيه كذا وكذا من العقوبات ، ثم يكف لسانه . فان زاد فآثر ان يذكر الدوافع التى تجعل القانون يحكم هذا الحكم عددها بلا فلسفة فارغة ولا تهجم قبيح جدا ، بالفاظ يقذفها بلا مبالاة ، فى أمر هو معترف بانه لايملك أن يزعم أن له به الماما كبيرا ! فليس له أن يقول عند هذه المقارنة ان تشريعات القانون « لم تعد تنظر الى الفاعل نظرة عداء ، تحاول ان تنقض عليه بمنطق السلطة والقوة الغاشمة ، تسومه صنوف العذاب والانتقام ثمنا لنشاطه الاجرامى » ، فان محصل هذا

الكلام السليط ، هو أن الشريعة التى أنزلها الله فى محكم كتابه ، « تنظر الى الفـــاعل نظرة عداء ، وتنقض عليه بمنطق القوة الغاشمة، وتسومه صنوف العذاب والانتقام » ، تعالى الله عما يقول هذا اللسان! فالله أرحم به من كل سـخيف العقل يظن أنه يتولى « دراسات جادة مخلصة ، تنبه الى غاية العقوبة ، والقصد من توقيعها ، والطريقة التى تنفذ بها » .

ولو قال هذا وسكت ، لقلنا له ، على سوء ماقال: اذهب حيث شئت ! ولكنه جاء بفقرة ثانية ، لينفى ان أحكام القانون التى الزمنا باتباعها فى بلادنا ، لم تكن من عمل المستعمرين ، ولا مما فرضوه علينا فرضا باخبث الوسائل وانكرها ، منـذ اطبقوا على العالم الاسلامى من نواحيـه ، ثم تسللوا اليه ، ثم توغلوا ، ثم فتكوا بنا وبتاريخنا وماضينا ومجتمعنا فتكا لا مثيل له فى تاريخ البشرية ، كانت وسائلهم اليه من أخفى المكر واخبثه ، حتى استولوا على كل ما نملك ، وزادوا فاستولوا على عقولنا ، واستعبدوا خطرات نفوسنا ، وتركونا رمما تفكر بعقول قد طال عليها الموت حتى أنتنت . والقـانون الذى يتـكلم الأستاذ نيابة عنه ، جاءنا مقترنا بسيادة الاجنبى ، واذا كان هناك شىء يسمى « تطورا » عشناه ، فهو تطور فى داخـل النظام الاستعمارى ، الذى أنشأ لنا مدارسنا كما يشتهى ، وفرض علينا من التعليم ما يشتهى ، وساق مجتمعنا كالأغنام فى خلال مئة سنة كما يشتهى . وهذا القانون الذى يتكلم الأستاذ نيابة عنه ، هو وكل ملحقات دراساته، قد نبت ونما وترعرع فى تربة أوربية مسيحية ، لا فضل له ولا لأحد من أساتذته منذ علمهم المستعمر القانون ، فى نمائه أو ترعرعه . وغاية أمرهم أنهم نقلة مقلدون ، أتبـاع لسيد ذى سطوة وبأس ، يأخذون عنه كل جديد ، وهو لا يقبل منهم شيئا ولا يوقره ولا يرضى أن يمسه ، واذن فلست أجد لما قال فى فقرته الثانية معنى يفهم ، حيث يقول :

« ثانيا : ورد فى رسالة الأستاذ الزميل أنه لا مفر من تطبيق الحد على السارق بقطع يده ، دون مبالاة بالنعرات الاستعمارية ، واظنها تنصرف الى التطور الذى ادركه التشريع الجنائى الذى أصبح يميل الى استبعاد عنصر القسوة من تنفيذ العقوبات . وفى تقديرى أننا حينما نساير هذا التطور ، فان الأمر لا يكون مبالاة بالنعرات الاستعمارية . وانمـا فقط (كذا) استجابة للاتجاهات الانسانية التى ظهرت بعد المعاناة والبحث » .

... لأن هذا التطور لا حقيقة له عندنا بل عنـد مسـتعمرينـا ، ولأن ما يزعمـه من « الاتجـاهات الانسانية التى ظهرت بعد المعاناة والبحث» ، لاتزال حجة مبنية على ما يسميه أصحاب المنطق « المغالطة اللفظية » . لأننا اذا اتخذنا مثل هذه الألفاظ حجة، كان فى مقدورنا أن نـسـقط كل عقوبة فى القـانون نفسه ، مما يمس البدن ، أو المـال ، أو النفس ، اذ لا شىء من هذه العقوبات مهما خف ، الا وكل ذى لسان وعقل قادر على أن يدخله فى حيز ما يناقض « الاتجاهات الانسانية » ، حتى الغرامة التـافهة ، ممكن أن تكون حكما غير انسانى . وليس صحيحا اذن أن تكون التشريعات الجنائية المعاصرة ، « تحاول جميعها ، قدر ما تسمح به الظروف ، ويكتب لهـا التوفيق فى محاولاتهـا ، أن تجرد العقوبة من كل مظاهر القسوة » ، فمـا من عقوبة الا وهى مقترنة بضرب من القسوة ، اذا نظرنا اليها من قبيل ما سماه «الاتجاهات الانسـانية» ، هذا اللفظ المغالط المبهم ! والأشياء التى ذكرها الأستاذ مما أرادت «الاتجاهات الانسـانية » أن ترفع وطأتها عن أحـكام القانون ، كالأشغال الشاقة المؤبدة ، والحبس والسجن ، كما ينفذ اليوم ، وتكبيل المرتكب المحكوم عليـه بالقيود والأغلال ، كل ذلك مقترنة نشأته بالقانون الاوربى، ولا أصل له البتة فى شريعتنا . بل تنبغى ازالته ، وازالة الآثار القبيحة المهلكة المترتبة عليه ، والتى هى أولى بتهييج الاستاذ وكيل النيابة ، وبمبـادرته الى رفضها ، والدعوة الى اخراجها من القانون بجرة قلم ، كما يقولون !

ولكن يظهر أن الاستاذ لم يكن له هـم الا تكرار الفاظ غير حسنة ولا مقبولة ، يصم بها شريعة الله وحكمه فى قطع يد الـسارق ، فيقول للاستاذ الحمزة دعبس :

« ومع تقـديرى لخبرته ، وما لاحظه ولمسه بحكم عمله ، فانى أحسب أن هذا الطابع ، لا يبرر الرأى الذى اسـتخلصه (يعنى الرجوع الى الشريعـة فى الحـكم بقطع يد السارق) ، فاغلب الظن أن وكيـل النيابة ، بمنطق العدل الذى لا يميل، (وهو وحده)، متجردا عن كل مشـاعر الرغبة فى الانتقـام ، الذى

يستطيع بما يقف عليه من أسرار وظروف المحكوم عليهم ، أن يقدر مدى تأثير هذه الظروف » .

فمن الذى علم الأستاذ ، على ما فى عبارته من الالتواء ، أن القاضى أو وكيل النيابة ، يصدر فى أى حكم من أحكامه عن « الرغبة فى الانتقام » ؟ أيظن أن القاضى اذا قضى ، وهو من رجال القانون لا من رجال الشرع ، بالقصاص من القاتل مثلا، يصدر فى حكمه هذا عن رغبة فى انتقام؟ ولم يقف هذا الأستاذ عند هذه الألفاظ ، بل أراد أن يسم حكم الشريعة بقطع يد السارق ، بما هو أشد من كل ما قال ، فتذاكى علينا ذكاء مدهشا ، فساق فى الفقرة الرابعة تاريخ قطع يد السارق ، واستباح أن يصفه بما يشاء فقال :

« ان الحكم الذى يقضى بقطع يد السارق، أو التنفيذ البدنى عموما ، عرفه الرومان منذ قرون بعيدة فى قوانين متعددة كانت تطبق عليهم ، مثل قانون الالواح الاثنى عشر، وقانون صولون، كما عرفه أهل آشور وبابل أيام قانون حمورابى . ولقد اتسمت هذه القوانين دائما بالوحشية ، وتغلب عليها عنصر الانتقام ، وان تمثلت صورها بشكل أوسع فى المسائل المالية كالديون وسائر الالتزامات » .

فباى حق يستطيع هذا الاستاذ أن يصف حكما انزله الله فى كتابه ، بانه حكم « وحشى » ، وان تستر تحت ما ذكر من أحكام الرومان والأشوريين والبابليين؟ واذا كان هو يستطيع أن يرفض « بشدة» الرأى الذى يطالب باعادة توقيع عقوبة قطع اليد بالنسبة للسارق » ، كما قال ، فمن الذى أنباه أن المسلمين يرفضونه بهذه الشدة ، حتى يصبروا على نعت حكم الله فى محكم كتابه ، بانه « أداة انتقام »، و « نظرة عداء الى السارق ، تحاول أن تنقض عليه بمنطق السلطة والقوة الغاشمة ، وتسومه صنوف العذاب والانتقام» ، وأنه «اتجاه غير انسانى» ، وأنه « قانون وحشى » ! ما هذا الهجاء المقذع من رجل يشهد على نفسه أنه ليس له المام كبير بامر الدين ، والحقيقة أنه جاهل بامر الدين كله ، لا يستطيع أن يميز بين النص الذى لا يقبل الاجتهاد ، والنص القابل للاجتهاد ؟ وحكم الله حق واجب علينا اتباعه وبيانه ، بيد أنى لم اقصد هنا قصد الابانة عن معنى حكم الله ، على وضوحه وبيانه ، ولكنى قصدت قصد هذه الموجة الطاغية من التهجم على كتاب الله بالفاظ منكرة ، بلا حياء ، وباتخاذ لفظ « التطور » ، و « الاتجاهات الانسانية »، وسيلة للطعن فى شريعة لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، أنزلها الله لعباده رحمة بهم ، وأنزلها بعلمه سبحانه ، ثم يجيء مفتون فيقارن بين أحكام أنزلها الله ، وأحكام وضعها طواغيت البشر ممن لا دين لهم على الحقيقة ، ويجعلهم أعلم من ربهم الذى خلقهم ، بما يتوهمونه من « دراسات مخلصة » فى « علم العقاب » ، و «علم الاجرام » ، وسائر ما يتغطرس بذكره المارقون من عباده ، ممن لم يسلموا وجوههم لفاطر السموات والأرض ، واتبعوا كل شيطان مريد من شياطين الانس والجن . هذا هو العجب الأول .

اما العجب الثانى ، فيفضى بنا الى ما يقع عليه سلطان المبشر الثقافى ، أعنى المستشار الثقافى ، لصحيفة الأهرام ، وهو لويس عوض ، حيث نشر فى اليوم التالى لهذه المقالة ، فيما سماه «دائرة المعارف» وذلك فى يوم الاثنين ١٦ من المحرم سنة ١٣٨٥ (١٧ مايو سنة ١٩٦٥) ، تحت عنوان : « الضريبة فى العصور الوسطى : النظم الضريبية فى العصور الوسطى كانت تختلف كلية بين أوربا والبلاد الاسلامية . لم يكن فى الاسلام تنظيم كنسى ، يحجب الموارد المالية (عن) السلطة السياسية » . ووقفت حائرا فى معنى هذا العنوان ، ما معناه ، وبحثت عن اسم الكاتب ، لأستشف مقصده ، فلم أجد تحت الكلمة توقيعا . واذن فهى كلمة مبهمة لا صاحب لها الا الذى يقع سلطانه على هذه الصحيفة ، وهو المبشر الثقافى ، أعنى المستشار الثقافى، لصحيفة الأهرام.

فلنتأمل هذا العنوان قليلا قبل أن ننفذ الى المقال نفسه . « النظم الضريبية ، كانت تختلف كلية بين أوربا والبلاد الاسلامية » ، اسلوب ركيك جدا ، كأنه أسلوب «بلوتلند وقصائد أخرى» لمؤلفه لويس عوض! لا يقال : « الأمران يختلفان كلية » !! هذا ليس بعربى ، بل يقال : «الأمران يختلفان كل الاختلاف» أو « اختلافا تاما » أو ما شئت غير « كلية » هذه !. ولا يقال : « الأمر يختلف بين محمد وعلى » ، هذا ليس بعربى ، الا أن تريد أنه يذهب الى هذا مرة ، والى الآخر مرة ، وهكذا دواليك ، فاذا قلت : « الأمر يختلف كل الاختلاف بين محمد وعلى » ، صار معناه على سقم تعبيره ، المبالغة فى الاختلاف الى هذا مرة ، والى هذا مرة . هل يعنى المبشر الثقافى هذا ؟ لا أظن ، بل المراد ، والله أعلم : أن النظم الضريبية فى أوربا كانت مخالفة كل المخالفة للنظم الضريبية فى البلاد الاسلامية . فاذا كان ذلك كذلك ، صنعنا ما صنع لويس عوض بمجلة « آراب أوبزرفر » حيث

نشر صورة للصفحة الأولى منها ، وصححها تصحيح مدرس ، ومنحها درجة (٠/١٥) ، ووقع بالأحرف الأولى من اسمه . فمنحاه صفرا على عشرة ، لا على عشرين ، بلا توقيع !

ثم يتكلم هـــذا العنوان الأعجم ، ويفصح قليلا قليلا ، فيقول : « لم يكن فى الاسلام تنظيم كنسى ، يحجب الموارد المالية (عن) السلطة السياسية » ، وكان فيه خطأ ، وضع (فى) مكان (عن) ، وهو سبق قلم ، فنعفو له عنه ! ولكن ما معنى هـــذا العنوان : أيريد أن النظم الضريبية فى أوربا كانت فاسدة فى القرون الوسطى ، لأن التنظيم الكنسى كان يحجب الموارد المالية عن السلطة السياسية ، أم يريد أن النظم الضريبية فى بلاد الاسلام كانت فاسدة ، لخلو الاسلام من نظام كنسى يحجب الموارد المالية عن السلطة السياسية ؟ واذن فهو عنوان مجير غير دال ، ولا يستحق أكثر من صفر ، لأنه لا يؤدى الى معنى واضح مفهوم عنـــد النظرة الأولى ، كما يتطلب ذلك فن « العنوان » ! ولكن يفهم منـه شىء واحد : أن كاتبه ماكر تافه المكر ، ككل مبشر .

ثم تبدأ الكلمة هكذا : « يطلق المؤرخون اسم العصور الوسطى على فترة زمنية تغطى عشرة قرون، اصطلح على تحديد بدايتها بعام ٤٧٦ ، (والتاريخ هنا هو التاريخ الميلادى بالطبع) ، الذى شـــهد سقوط الامبراطورية الرومانية الغربية بيـد قبائل الجرمان ، وتحديد نهايتها بعام ١٤٥٣ ، الذى شهد سقوط الامبراطورية الشرقية بيد الاتراك العثمانيين. وأهم ما يميز هذه الفترة ، من وجهة نظـــر تاريخ الحضارة البشرية ، هو انقســـام البلدان المحيطة بالبحر الأبيض المتوســـط الى نظامين حضـــاريين مختلفين ومتعارضين، تقوم بينهما العداوة والحروب: أوربا المسيحية من جانب ، والبلاد الاســـلامية من جانب آخر » . وظاهر انه يريد أن يدخـل تاريخ الاســـلام منـذ ظهوره الى أن فتح الأتراك أرض الامبراطورية الشرقية ، فى « العصـــور الوسطى » الأوربية ، وهذا خطأ شنيع ، وتحكم غليظ ، وكان « الحضارة البشرية » مرتبطة بالجنس الاوربى وحده، فما كان عنده « عصـــور وسطى » منحطة ، فهـــو منسحب على تاريخ أهل الاســـلام ، موصوف بما توصف به « العصور الوســـطى » ، من الانهيار والانحطاط والجهل ! وهذه احـدى الدسائس التى دسها « التبشير » و « الاستعمار » بوســـائله فى مدارسنا وكتبنا ، حتى كدنا نعـــدها بديهية من البديهيات . والواقع فيها ، واقع فى خلط فظيع ، يلغى من تاريخ البشرية اشرف عصـــورها واكرمهـــا وانبلها واصدقها علما وعملا، فى أمر الدنيا والآخرة.

ولكن لا بأس ! ثم يبدأ هذا الكاتب المجهول بعد قليل فيقـــول : « والذى يعنينا من هـــذه الملاحظة التاريخية ، هو أن نظام الضرائب قد اختلف اختلافا كبيرا فى بلاد الاسلام عنه فى أوربا . ولعـــل أهم » والق بالك الى قوله : أهم) ... ولعـــل أهم ما يميز البلاد الاسلامية فى هـــذا الصـــدد ، هو أن الاسلام قد أضفى على الأسس العامة للنظام الضريبى طابعا دينيا ، يجعل من اليسير على الحكام أن يتلاعبوا بهـــا (بهذا الادب الجم   أدب لا مس وزويمر وملحقاتهما !!) ، وفى نفس الوقت لم يكن للاسلام تنظيم كنسى(!!) يحجب الموارد المالية التى تجبى باسم الشرع ، عن السلطة السياسية ، مما أغنى الحكام عن أن يفرضوا ضرائب مباشرة ، لم يرد لها أصـــل فى الفقه الاسلامى » ثم أخذ يضرب يمينا وشمالا ، ويترنح ويتطوح ، ويستقيم لســـانه تارة ويلتوى اخرى ، بذكر « الخراج ، والجزية ، والزكاة » ، فى بضعة أسطر ، حتى انتهى فجأة الى قوله : « أما فى أوربا الغربية ، فقد أدى انهيار السلطة الامبراطورية الى انهيار النظام الضريبى الذى أقامته تدريجيا خلال عدة قرون » ، ثم دخل فى ذكر ملوك البربر الذين قسموا الامبراطورية الغربية ، وانحدر الى النظـــام الاقطاعى ، حتى قال : « وكان طبيعيا فى هذا الوضع (يعنى وضع النظام الاقطاعى) ، أن يختفى مفهوم الضريبة الذى تكون خـــلال عـدة قرون فى ظل الامبراطورية الرومانية » . ولم نفهم شيئا مما قال، لأنه لم يحدثنا بشىء عن الضريبة ، ما هى ، ولا كيف كانت ، بل ساق لنا وعجنا بلا محصول ، ليقـول هذا :

« وفى هذا المجتمع الاقطاعى بقيت سلطة مركزية واحدة هى الكنيسة الكاثوليكية ، وكانت تقوم بعدد من الخدمات العامة : كالتعليم ، والصحة ، والقضاء، وكانت الكنيسة تمول نشاطها من مصـــدرين : الاوقاف ، التى سرعان ما تحـــولت الى اقطاعيات دينية للأسقف ، فيها ســـلطة الســـيد الاقطاعى ، والعشور ، وهى ضريبة تقدر بالعشر من الدخل ، أخذت الكنيسة فى جبايتها اعتمادا على بعض نصوص الكتاب المقدس » .

وأنا لا أحب أن أتحكم فى الناس برايى ، ولكن اسأل كل قارىء أن يلتمس هذا العدد من الأهرام ،

ويقرأ هذه المقالة ، ويحدثني بعد ذلك عن الذي جاء به هـــذا الكاتب المتخفي ، في موضــوع « النظم الضريبية » ، وكيف كانت في بلاد الاسلام ، وكيف كانت في أوربا ما بين سنة ٤٧٦ الى سنة ١٤٥٣ من الميلاد • فاذا لم يجد فيها شيئا يفهم ســوى الفاظ مخمورة مترنحة بلا معنى ولا ترابط ، فليحدثني فيم كتبها هذا الكاتب ؟ أكتبها ليقول : « ان الاسلام قد أضفى على الأسس العامة للتنظيم الضريبي طابعـا دينيا ، يجعل من اليسير على الحكام أن يتلاعبوا به»؟ أهذا صحيح ؟ أهذا شيء يسلم لحضرة الكاتب المتخفي لأنه قاله وقضى ما قضى ؟ أهكذا يقضي هذا المسكين على ما بينه الله ورسوله من حقوق الأموال ومصارفها بأنه نظام يتيح للحكام أن يتلاعبوا به ؟ ثم يعقب على ذلك بأن العيب أتى من قبل أن الاسلام لم يكن له « تنظيم كنسي » ، يحجب الموارد المالية التي تجبى باسم الشرع عن السلطة السياسية ، مما أغنى الحكام عن أن يفرضوا ضرائب مباشرة لم يرد بها أصل في الفقه الاسلامي ؟ أهذا كلام صاح مفيق ؟ أم كلام مختلط العقل يريد أن يدخل لفظ « تنظيم كنسي » في كلامه ، ليدل على عوار الاسلام وفساد نظمه ، اذ لم يكن فيه « تنظيم كنسي » شريف ؟ وأي شيء هذا « التنظيم الكنسي » ، الذي حجب الموارد المالية عن السلطة السياسية ؟ وكيف كان ذلك ؟ ومتى كان ؟ أغاية ما هنالك أن « الكنيسة الكاثوليكية » بقيت سلطة مركزية ، تقوم بعـــدد من الخدمات ، وتتمول من أوقاف صارت اقطاعا ، وعشور تجبيها من الناس ؟

ماهذا الهوس الذي يكتبه هذا الكاتب المتخفي ؟ أنا لا أشك في أنه مبشر سخيف العقل جدا ، فان لم يكن هو لويس عوض بلحمه ودمه وعقله ، فهو أشبه شيء به • واذا كانت صحيفة الأهرام ، قد أنشأت هذا الباب من « **دائرة المعارف** » ، فيصبح مرتعا للمبشرين وذيولهم وأذنابهم ومخالبهم ، ولا أظنها أرادت ذلك البلاء ، فخير أن تغلقه ، وتكف عن الناس الشر الذي يهب عليهم من قبله ، أو أن تقذف بهذا المبشر الثقافي الى خارج أبوابها ، لأنه لا يتورع عن سوء أدب يرتكبه موقعا باسمه ، أو تطاول يقدم عليه مجهـــول الاسم ، باشرافه على باب يراد منه تثقيف الناس بكلام مفهوم ، دال على معنى مفهوم ، لا اتلاف عقولهم بخطرفات وترهات ، وحديث جهال، وهذيان هاذين ، وعربدة معربدين •

وقد أسلفت في المقالة الثانية عشرة بيان معنى « دائرة المعارف » ، التي آثرت تسميتها « الجمهرة » وبينت معنى هذا الباب ، وما يراد منه ، فان لم يكن قرأها مسئول عن هذه الصحيفة فليقرأها اذن ، ليعلم أول ما يعلم : مامعنى هذا الباب الذي نشأ في صحيفته ، وكيف ينبغي أن يكون ، فهذه أول مهمة يتقلدها • ثم ليعلم أن هذا الباب، اذا تتبعه متتبع لم يخطيء أن يجده قد صار ستارا لعرض أفكار كثيرة للمبشرين وعقولهم السخيفة ، على قـــراء لايزالون يظنون بأبواب صحيفته خـــيرا كثيرا ، ويعدونها مصدرا لثقافة صحيحة حقيقة بالاهتمام • واذا كان ذلك كذلك ، فبأي قلب يرضى أن يصـــاب من قراء الأهرام من يصاب ، بعـــدوى داء عضـــال من لوثة ينشرها مبشر خامل جرائيم ، لا يؤتمن على صحة العقول ، كما لا يؤتمن متطبب دجال على صحة أبدان الناس • وعقول النشء أولى بالحياطة من أبدانهم ، فان البدن اذا تلف منه عضو ، احتازت سائر الأعضاء نصيبه من العمل • ولو أفضى الأمر الى تلف البدن كله بتطبيب هذا الدجال ، فالتلف قاصر على صاحبه لا يتعداه • أما تلف العقول بالآفات المبيرة ، فالعقل لا يستعاض عنه ، ولا يقوم شيء من الأعضاء مقامه ، ويبقى صاحبه معـــافى البدن ،ولكنه يمشي به في الناس لينفث فيمن يعاشر جرثومة يستشري داؤها ، ولا يرجى شفاؤها ، الا بعـــد وقت طويل ، وعلاج مضن ، اذا تيسر الطبيب المتفرغ لمباشرة علاجه يوما بعد يوم •

هذا ، كما ترى ، خبر ما قـــرأت من العجب في يومين متتابعين ، ولم أجده مما يسعني في ديني ، ولا في عقلي ، ولا في أمانتي ، أن أسكت عنهما ، وأدع عرضهما على الناس • لأن هذه ظاهرة بينة الدلالات ، ففي موضعين مختلفين ، وفي صحيفتين مختلفتين ، ينشر كلام لا أصل له ولا هدف الا الطعن الصريح في الاسلام والتسفيه الواضح لأحكام دين الله •

فباسم مبهم ، لايدرى من هو ، ولا من يكون ، يكتب كاتب متهيج رسالة لا شيء فيها من الجد ، سوى حب الترديد لوصف حكم من أحكام الله ، بأنه قاس ، وبأنه صادر عن الرغبة في الانتقام من البشر ، وبأنه حكم وحشي ، ويكتبه بأسلوب لا أدب

فيه ، ولا يتضمن علما أو ذكاء ، وانما هي ألفاظ مبنية على المغالطة ، ومشمولة بالابهام كاسم صاحبها ، ولم يخرج كل ما فيها من الحجج البينات عن الذى سمعته باذنى منذ أكثر من أربعين سنة ، من فم القسيس المبشر الخبيث زويمر ، ومن غيره من أشباهه ممن كان يتردد على جمعية الشبان المسيحية ، وعلى الجامعة الأمريكية . ولا أدرى ما الذى يراد اليوم بنشره بين قراء صحيفة الأخبار ، فى هذه الفترة المضطربة التى اجتمعت فيها قوى الشر علينا من كل أوب كزنابير النحل ؟ وكثير من شباب القراء اليوم لا يملك القدرة على رد هذه الشبه المتلفعة بألفاظ « التطور » ، و « البحث العلمى » ، و « الدراسات المخلصة » ، و « الاتجاهات الانسانية » ، وسائر هذه الضلالات التى تهيننا عن اسلام عقولنا لأمثالها ، والتى أفضت منذ قريب الى قيام بعض الكنائس باحلال أخبث انحراف جنسى يصاب به انسان شريف ، وجعله عملا من الأعمال المباحة التى لا يلام صاحبها دينا ، ويؤمر جماهير الناس أن لا يستنكروا ذلك من فعله، أو يمتهنوه ، أو يزدروه. وهذه هى ذروة « البحث العلمى المخلص » ، وقمة « الاتجاهات الانسانية » ، التى يراد لنا أن نقتفى آثارها ، ونتخذ أسلوبها فى النظر أسلوبا نعيش به، ونقيم أحكامنا عليه ، مسفهين أحكام الله فى كتابه وفى سنة رسول صلى الله عليه وسلم ، بجراءة فظة ، وبلا مبالاة بالمخوف من عواقب هذا الضلال الذى عاش فيه العالم الأوربى المسيحى ، ولم يزل يعيش فيه .

وبلا اسم ، وبلا توقيع ، يجترىء مبشر « مجهول » على أن يجعل أكمل نظام للأموال عرفته الحياة البشرية الى اليوم ، نظاما « يجعل من اليسير على الحكام أن يتلاعبوا به » ، ويزداد عتوا أو جراءة وسوء أدب ، فيوحى الى قارئه أن خلو الاسلام من « التنظيم الكنسى » الشريف !! هو السبب فى فساد هذا النظام ، بدعوى تدل على تمام الجهل بتاريخ الكنيسة فى أوربا ، ليقول صراحة : « ان الاسلام لم يكن له تنظيم كنسى ، يحجب الموارد المالية التى تجبى باسم الشرع (يعنى الزكاة ، والخراج ، والجزية !!) ، عن السلطة السياسية ، مما أغنى الحكام عن أن يفرضوا ضرائب مباشرة لم يرد لها أصل فى الفقه الاسلامى » وهو فوق ذلك كله ، تعبير جاهل بمعانى الألفاظ ، ملفوت عن حقائق هذا الدين ، مملوء القلب والعقل بأساليب التبشير وأساليب الاستشراق ، وهما شىء واحد فى الحقيقة ، ويسوق هذا المكر الخبيث فى موج متلاطم من الألفاظ التى لا يحصل من مجموعها معنى صحيح مفهوم .

وصدق المبشر الذى قال ، وقد أنسيت مكانه واسمه الآن ، حيث قال : ان المكان الوحيد فى العالم الاسلامى ، الذى لا يكاد « التبشير » ينفق فيه شيئا يذكر ، هو مصر ، فانهم بعد طول استيلائهم على الحياة بأساليبهم التى شرحتها آنفا ، كان لكل مبشر رزق يناله من قوت هذا الشعب المسلم ، ويؤجر على عمله من ماله ، فى الصحافة ، وفى المدارس ، وفى المستشفيات ، وفى كل باب دخله « التبشير » وبث فيه أعوانه ، مقنعين بضروب مختلفة من الثياب ، ولكل طائفة منهم أسلوب قد درسوه وأحكموه ودربوا عليه ، كما كشفت ذلك حين نزعت طيلسان الجامعة عن لويس عوض ، وأظهرته مبشرا مدربا تم تدريبه «**تحت أشجار الدردار بكامبردج**» .

وبعد ، فهذا أمر « مكشوف » ستاره لمن يريد أن يبصر ، وهو لم ينحدر قط علينا بهذا القدر من العنف ، والمراوغة ، والتحايل ، ولم ينبثق سيله من كل وجهة وفى كل مكان ، كما انحدر وانبثق فى هذه الأيام . وأنا أحذر قومى ، فان دلائل هذا التبشير واضحة فى الذى ذكرت ، وفى الذى لم أذكره ، من كلام كثير يستفيض فى صحف كثيرة ومجلات . و « **التبشير** » أداة من أدوات « الاستعمار » ، وهما أخوان لأب وأم . فالحاح « التبشير » علينا بأدواته ودعاته ، صريحة ومتخفية ، واعية وغير واعية ، يحمل معنى واضحا من ارادة التدمير والهدم ، ونشر البلبلة ، وافقاد الأمة أسباب بقائها ، ويرمى الى هدف واضح ، قد عمد اليه مرات من قبل فى مصر وفى غير مصر ، فى خلال الانتفاضات الكبرى التى يخشى معها أن يسترد العالم العربى والاسلامى قوته وبأسه ، وينفرد بنفسه منشئا بانيا ممهدا لحضارة ترث هذه الحضارة الأوربية المسيحية فى أوان انهيارها هذا الذى نعيشه . وقد ضربت الأمثال من قبل فى بعض مقالاتى ، فأنا أتخوف أن ننتهى الى شر غاية ، اذا تركنا هؤلاء المفسدين العابثين يمرحون ويسرحون ، بلا رقيب على سوء أعمالهم . وبلا وازع يردعهم عما يبغون لنا من الغوائل . ولا يؤتى المرء الا من غفلته ، وشر الأعمال التهاون ، ورب شرارة صارت نارا متضرمة .

« محمود محمد شاكر »

كلمات في كلمات

بحوث لغوية تاريخية

بقلم: حامد عبد القادر

كان يوسف هو الذى نبه شأنه ، وعظم قدره دون سائر اخوته ، وربما تكون قصته مع زليخا زوج عزيز مصر «فوطيفار» من اشهر قصص الشرق القديم ، ان لم تكن اشهرها ، ذكرتها التوراة فى تفصيل وتطويل ، وذكرها القرآن الكريم فى ايجاز واعجاز ، متبعا فى سردها اسلوبه القصصى الخاص ، الذى يمتاز بالاكتفاء بامهات الحوادث ، والاستغناء بها عما عداها من التفصيلات المملة التى لاتجدى ولايؤثر الاستغناء عنها فى تكوين هيكل القصة .

لقد بدأت قصة يوسف اليمة ، ولكنها انتهت مشرقة سعيدة ، يتجلى فيها عطف الله سبحانه على المستضعفين ، واحباط كيد الخائنين الظالمين.

فقد كرم الله يوسف «الصبى» فاحبط مؤامرة اخوته ، وانجاه من غيابات الجب ، ثم اكرم يوسف «الفتى» مرة اخرى فاحبط كيد امرأة العزيز له، واخرجه من غياهب السجن بعد أن لبث فيه بضع سنين .

ذلك انه تعالى علمه تاويل الاحاديث ، ثم حدث أن رأى فرعون ملك مصر رؤيا عجز رجال الدولة عن تاويلها ، وعلم ببراعة يوسف فى تاويل الاحلام فارسل يستفتيه فى رؤياه فاولها تاويلا ارتاحت اليه نفس الملك ، فامر باطلاق سراحه وتكريمه ، وقال : ائتونى به استخلصه لنفسى .

واكرم الله يوسف «الرجل» مرة ثالثة فالقى فى قلب فرعون محبته ، وتوسم الملك فيه الامانة والكياسة وحسن التدبير فجعله على خزائن الارض فحينئذ بلغ ذروة المجد ، وصار ذا حول وطول ، وحدثت مجاعة فى كنعان فارسل يعقوب ابناءه ليأتوا بالطعام من مصر ، فصدعوا بالامر ، ودخلوا على يوسف «فعرفهم وهم له منكرون» . وكان من امر يوسف مع اخوته ماكان مما اراد الله به ان يجمع شمل الاسرة ، ويمهد السبيل لدخول بنى اسرائيل مصر ، وذلك حين قال يوسف لاخوته : «اذهبوا بقميصى هذا فالقوه على وجه ابى يات بصيرا واتونى باهلكم اجمعين» لقد تم الامر ودخل بنو اسرائيل مصر وكان عددهم سبعين (التكوين ٤٦ ــ ٣٦) .

وقد اكرم فرعون وفادتهم ، وقال ليوسف : «امامك ارض مصر ، فى افضل الارض اسكن اباك واخوتك ، ليسكنوا فى ارض جاسان » (التكوين ٤٧ ــ ٥) .

وكانت ارض جاسان واديا فى اقصى حدود مصر الشرقية ، وهو فى محافظة الشرقية الآن ويسمى وادى الطميلات ، وكانت هذه الارض مناسبة للمصريين وبنى اسرائيل على السواء ، فقد امن المصريون باستيطان بنى اسرائيل حدودهم الشرقية ــ غزو من كانوا يغيرون عليهم من الشرق ووجد فيها بنو اسرائيل مراعى خصبة لمواشيهم ، ومزارع كثيرة يستطيعون استغلالها ، فقد كانت ارض جاسان اذ ذاك ارضا زراعية خصبة ، وقد قيل انها هى المرادة بقولها تعالى « واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التى باركنا فيها » ١٣٦ الاعراف بدليل قوله تعالى بعد هذه الآية : « وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر

فاتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم » ــ ١٣٧ الاعراف ، فمجاوزتهم البحر لم تكن الا بعد أن أخرجوا من أرض جاسان ٠

هذا الى ان انفراد بنى اسرائيل بمكان خاص من شأنه ان ييسر لهم العيش فى هدوء واستقرار ، وممارسة طقوسهم الدينية ، وعاداتهم وتقاليدهم التى الفوها دون أن يعترض احد سبيلهم ٠

وبعد ان اقام يعقوب بمصر نحو سبع عشرة سنة احس باقتراب منيته فجمع ابناءه ، والقى عليهم من النصائح والمواعظ مايجعلهم يحيون حياة طيبة ٠ ولما بلغ من العمر سبعا واربعين ومئة سنة لحق بربه ، فحمل ابناؤه جثته ودفنوها فى ارض كنعان ٠

- ١٨ -

وكان ملك مصر فى تلك العصور القديمة يلقب بلقب :

فرعون

وهو بالعبرية פרעה برعه ، بباء ثقيلة مفتوحة فراء ساكنة فعين مضمومة ضمتها ممالة فهاء صامتة . فلما عرب كسرت الفاء واضيفت النون فى الآخر لتكون سنادا للحركة ٠

ويرى المحققون ان هذا الاسم ماخوذ من كلمة مصرية قديمة هى برع بباء ثقيلة مكسورة كسرتها ممالة فراء ساكنة فعين مضمومة ضمتها ممالة نحو الفتحة هكذا per,o

ويكاد يكون من المتفق عليه ان المعنى الاصلى لهذه الكلمة هو : «القصر الفخم» ، ثم اريد به فى عهد المملكة الحديثة المصرية : «القصر الفخم الخاص بالملك» ، واخيرا اطلق على الملك نفسه ، مثله فى ذلك مثل «النجاشى» لملك الحبشة ، «وقيصر» لملك الروم ، و « كسرى » لملك الفرس ٠ ومنذ عهد قريب كان يراد «بالباب العالى» ، قصر الخليفة العثمانى او الخليفة نفسه ،

وقد استمر لقب « فرعون » يطلق على كل ملك من ملوك مصر القدامى حتى عهد الحكم الفارسى لمصر الذى بدأ سنة ٥٢٥ ق٠م تقريبا ٠ وقد شاع اطلاق هذا اللقب على ملك مصر بين العبرانيين وغيرهم من الكتاب الذين حاكوهم ٠٠ واستعمل اللقب فى العهد القديم اما وحده دون أن يكون بعده اسم الملك (تكوين ١٢ـ١٥ ، ٣٧ـ٣٦) واما متبوعا بالعبارة «ملك مصر» كما فى ٣ـ١ ، ٩ـ١٦ من القسم الاول من سفر الملوك ، واما متبوعا باسم الملك وهذا نادر كما فى ٢٣ ــ ٣٣ من القسم الثانى من سفر الملوك حيث ذكر الاسم نيخو ، وكما فى ارميا (٤٤ـ٣٠) حيث ذكر الاسم خفرع ٠

وهنا نسال :

ما اسم فرعون الذى فى عهده دخل بنو اسرائيل مصر ؟

ونجيب بأن معظم المؤرخين متفقون على أن دخول بنى اسرائيل مصر كان فى عهد الهيكسوس أو الرعاة الذين يسميهم العرب « العمالقة » وقد استمر حكمهم قرنين تقريبا أى من سنة ١٨٠٠ ق٠م حتى سنة ١٦٠٠ ق٠م تقريبا ٠

وقد كان حكم الهيكسوس لمصر اذ ذاك من الاسباب التى سهلت على يوسف الامر ، ويسرت لبنى اسرائيل دخول مصر والاقامة بها فى هدوء واستقرار ، ذلك لان الهيكسوس لم يكونوا مصريين بل كانوا اجانب لايزعجهم أن يدخل البلاد اجانب امثالهم ، وقد كانوا ساميين ينتمون الى الجنس نفسه الذى كان ينتمى اليه بنو اسرائيل ، وكانوا فى اول امرهم رعاة ابل وشاء كما كان العبرانيون فى كنعان (تكوين ٤٦ ــ ٣٢) ٠

ويرجح رولنسون عالم الاثريات المشهور أن دخول بنى اسرائيل مصر كان فى أواخر حكم الهيكسوس فى أثناء قيام الاسرة السادسة عشرة ، وقد وافقه على ذلك الاستاذان عمر الاسكندرى وسفدج ٠ ويرى رولنسون ومن تبعه ان فرعون مصر الذى عطف على يوسف كان يسمى "p, pi واذا تسامحنا قليلا فى تعريب هذا العلم قلنا انه « عفيفى » ، فالألف والعين من حروف الحلق التى يحل بعضها محل بعض ، والباء الثقيلة والفاء من حروف الشفة ٠ (تاريخ مصر بالانجليزية ، تاليف رولنسون ص ١٤٥ـ١٤٦) ٠

ويروى رولنسون عن عفيفى هذا أنه كان يحكم مصر كلها شماليها وجنوبيها ، وأنه كان يدين بالاه واحد ، وهذا هو ما يوصف به فرعون يوسف فى التوراة (تكوين ٤١ : ٣٨ـ٣٩) ، وانه قد تمصر تمصرا تاما أى اتبع التقاليد والعادات المصرية ، وأنه

كان له مجلس شورى من كبار رجال الدولة ، وأن حكمه كان مستقرا هادئا ، نعمت فيه البلاد بالامان من أوله الى ما يقرب من نهايته ، وان مقر حكمه كان مدينة « تنيس » أو « أواريس » ، وانه كان قوى الارادة صادق العزيمة ، ثابتا على المبدأ ، لم يرهب احداث الانقلابات والتغيرات الثورية ، ولم يجرؤ احد ان يقف فى سبيل تنفيذ رغبـــاته ولو كانت تعسفية ·

ويختتم رولنسون كلامه فى هذا الموضــــوع بما خلاصته مترجمة :

« اننا لم نستوعب جميع المبررات التى تجعلنـــا نقرر ان فرعون يوسف كان هذا الفرعون (عفيفى) ، ولكن ما ذكرناه كاف لأن يجعلنا أشد ميلا الى موافقة المحدثين من المؤرخين على القول بأن الحوادث المثيرة التى حدثت ليوسف واخوته كانت فى عهد ذلك الملك الذى كان آخر ملوك الرعاة » ، الذين امتد حكمهم الى سنة ١٦٠٠ قم أو سنة ١٥٨٠ قم تقريبا ·

هذا وقد عاش يوسف حتى بلغ من العمر عشرا ومئة سنة ، بعد أن رأى الجيل الثالث من أحفاده أبناء افرايم ابنه الاول ، وبعــد ان ولد على ركبتيه اولاد « ماكير » ابن ابنه الثانى منشى ·

- ١٩ -

« ولما انتهى حـــكم الهيكسوس ·· جلس على عرش مصر المصريون اهلها الشرعيون ابتــداء من الاسرة الثامنة عشرة (١٥٨٠–١٣٥٠ قم) ولم يكن فراعنة هذه الاسرة ليعطفوا على بنى اسرائيل ، بل انهم اخذوا يعذبونهم ، ويفرضون عليهم الاعمـال الشاقة المضنية ، ويلهبون ظهورهم بالســياط ، ويسومونهم سوء العذاب » ، ثم أخذوا يقتلون أبناءهم وقد قيل ان ذلك كان عملا بمشورة بعض المنجمين الذين زعموا لفرعون ان خراب بلاده سيكون على يد احد العبرانيين ·

وليس من الصــعب أن ندرك السر فى كراهية المصريين لبنى اسرائيل ، فقــد كانوا يكرهــون الهيكسوس اشد كراهية ، لانهم كانوا أجانب أغاروا على بلادهم واستولوا عليهـا بحد السيف · وكان بين بنى اسرائيل والهيكسوس تعــاطف أدى الى صداقة ولو ظاهرية للاسباب التى ذكرناها من قبل وقد جرت العادة بأن يعادى الناس اصدقاء أعدائهم · ويتعين علينا هنا أن نسأل :

فى عهد من من الفراعنة بلغ تعذيب بنى اسرائيل أشده ؟

يقول رولنسون الآنف ذكره فى الجواب عن هذا السؤال : ان ذلك كان فى عهد رمسيس الثـــانى (١٢٩٢ – ١٢٢٥ قم) · ويقرر ان هذا هو الرأى الذى يرقى الى درجة الاجماع فقد قال به أكثر العلماء الماما بتاريخ مصر القديم ·

قد يكون سيتى الاول أبو رمسيس الثـــانى (١٣١٣ – ١٢٩٢ قم) هو الذى وضع خطة التعذيب وأكره العبرانيين على الاعمال الشاقة ، ولكننا اذا علمنا ان هذا التعذيب قد استمر زهاء ثمانين سنة (خروج ٢–١ ، ٧–٧) لزمنا القول بانه قد استمر طوال عهدين متواليين على الاقل ، فاذا كان قد بدأ فى عهد سيتى الاول فلا بد أن يكون قد استمر فى عهد ابنه رمسيس الثانى الذى يعزى اليه القيام بالجزء الأكبر من تعذيب بنى اسرائيل ، وانه هــو الذى فرض عليهم أن يبنوا مدينتى رمسيس وفيثوم على مقربة من جاسان ·

ان هذا التعذيب هو الذى أثار موسى (خروج ٢ – ١١ ، ١٢) ، وجعل الرب ينظر الى هؤلاء المعذبين نظرة عطف وشفقة (خروج ٣ – ٧) وجعل هؤلاء يضجرون ويجأرون بالشكوى الى الله (خروج ٥ –٦ وما بعدها)

موسى وهرون

عليهما السلام · وموسى هوبالعبرية משה موشه ، بميم مضمومة ضمتهـا طويلة ممالة نحو الفتح ، فشين مكسورة كسرتها ممالة نحو الفتح ، فهاء صامتة ·

ويبدو لأول وهلة أن كلمة «موشه» اسم فاعل من فعل عبرى ماضيه ماشاه ، ومضـــارعة يمشــه ימשה משה والهاء المتطرفة لا تظهر فى النطق فى الماضى والمضارع والامرواسم الفاعل ، وهى تقابل لام الكلمة فى الفعــل الناقص فى اللغة العربية كما فى بنى – يبنى ·

ومعنى « ماشاه » انتشل ، أو انقذ من الغرق · وقد قالت التوراة فى تعليل هذه التسمية على لسان بنت فرعون : انى انتشلته من الماء – (خروج ٢–١٠)

وقد أخذ نحاة العبرية ينقدون هــذا التعليل ، فقالوا ان الاسم الذى ينطبق عليه هذا التعليل هو اسم المفعول من الفعل نفسه ، وهو ما شوى أى منتشل بفتح الشين ، لا اسم الفاعل وهو موشـه بمعنى منتشل بكسر الشين ·

وأنت خبير بان هذا الكلام لا يستقيم الا على فرض أن بنت فرعون كانت تعرف العبرية ، وأنها سمت الطفــل الذى وجدته فى المـاء فى التابوت باسم عبرى ·

ولا ريب أن كلا الامرين بعيد عن الصواب ، اذ أن احدا لا يستطيع أن يقول ان بنت فرعون كانت تعرف العبرية ، بل انه من المشكوك فيه أن لغـــة بنى اسرائيل أنفسهم الذين كانوا بمصر فى تلك العصور الغابرة كانت العبرية كما هى فى العهد القديم .

اننا نستبعد أن يوســف كان يخاطب المصريين بالعبرية ، وأن موسى وهرون كانا يخاطبان فرعون والسحرة بالعبرية ، وأن كلا من الفريقين كان يتفاهم والآخر بطريق التراجمة .

واننا فى الوقت نفسه نقرر أن المعقول الذى يتبادر الى الذهن أن بنى اسرائيل لما طالت اقامتهم بمصر اضطروا الى أن يتخذوا المصرية لغة لهم ، شأنهم فى ذلك شأنهم فى العصور المتوسطة والحديثة ، فقد جرت عادتهم أن يتعلموا لغة البلاد التى يستوطنونها .

وليس لدينا من الأدلة مايجعلنا على يقين من أن بنى اسرائيل بمصر كانوا فيما بينهم يتكلمون بالعبرية بوصفها لغة ثانية او لغة قومية .

ومهما يكن من أمر فمما لاشك فيه أن بنت فرعون لم تكن تعرف العبرية . فاذا سلمنا بأنها هى التى سمت الطفل المنتشل بهذا الاسم كان علينا ان نسلم بأن هذا الاسم مصرى الأصل .

ان هـــذا هو ما قال به كثير من المؤرخين على اختلاف ما فيما بينهم ، فقد ذهب يوسفوس المؤرخ اليهودى المعروف (٣٨ م) الى أن موشه كلمة منقولة من عبارة مصرية قديمة تفيد معنى المنتشل من الماء ، بفتح الشين .. ويرجح فورست أنهـــا مأخوذة من كلمتين مصريتين قديمتين معناهما ابن ايزيس . مثله فى ذلك مثل الاسم تحتموسيس أى ابن تحت .

ولعل الأقرب الى الصواب من هذا الموضـــوع هو ما ذكره جزينس العالم اللغوى الكبير ، فانه يرجح أن الاسم « موشه » أصله كلمة مصرية قديمة هى مس أو ميسو بمعنى طفـل أو ابن . وقد ذكر هذا الاسم فى العهد القديم ٧٠٦ مرات منها ٢٩٠ فى سفر الخروج ، و٨٦ فى سفر اللاويين ، و٢٣٣ فى سفر العدد ، و٣٨ فى سفر التثنية ، و٥٩ فى ســـفر يوشع .

وموسى هو ابن عمران (عمرام) ويوكابد (وكانت عمة عمران) (خروج ٦ـ٢٠) (والعدد ٢٦ـ٥٩) . وهو من سبط لاوى (خروج ٢ ـ ١) وكان الأخ الأصغر لهرون (خروج ٤ـ١٤) ، وأخا مريم (العدد ٢٦ـ٥٩) .

ووصف موسى بأنه نبى (تثنية ١٨ـ١٥ ، ١٨ ، ٣٤ـ١٠) .

وبأنه النائب عن الله تعالى فى التشريع (خروج ٢٠ـ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢) .

وبأنه المشرع (تثنية ٣٣ـ٤ ، ويوشع ٧ـ١٣) .

وقد أشير الى ألواح موسى فى القسم الاول من سفر الملوك (٨ـ٩) .

هذه هى الآراء المأثورة فى اشتقاق الاسم «موسى» . ولعل القارىء الكريم يدرك معى أنها آراء لا تشفى الغليل لما يبدو فيها من تكلف ، ولهذا أرانى أميل الى القول بأنه ليس هناك ما يمنع من أن هذا الاسم مشتق من الفعل العبرى ماشاه بمعنى « أنقذ » ، وحينئذ يكون معناه « منقذ » . غير أنى أضيف الى ذلك أننا اذا رجحنا هذا الرأى كان علينا أن نفرض ان هذا الاسم قد أطلق على موسى عليه السلام بعد أن أنقذ بنى اسرائيل من عذاب فرعون ، أى انه ليس ببعيـــد أن مدونى التوراة فى القرون التالية لحادثة الخروج والانقاذ قد أطلقوا على موسى هـــذا الاسم اعترافا بفضله ، وتخليدا لنعمة الله عليه اذ جعله السبب المباشر فى تحرير أجدادهم من العذاب المهين ، ولكى يضفوا على هذا الاسم شيئا من القدسية أدخلوه فى صميم التوراة .

ولعل مما يؤيد هذا الرأى ما نحسه من تكلف فى رجع هذا الاسم الى أصل مصرى قديم ، وكذلك مانراه من اختلاف العلماء فى تحديد هـــذا الأصل المصرى .

وأخيرا نقول انه من البعيد أن يكون من قبيـــل المصادفة ورود هذا الاسم على وزن اسم الفاعل من فعل كثير الاستعمال فى العبرية وهو الفعل ماشاه أى أنقذ .

هذه هى خلاصة موجزة لاشتقاق الاسم «موسى»

اما هرون فهو بالعبرية אַהֲרֹן أهرون ، بألف مفتوحة ، فهامفتوحة فتحتها مخطوفة ، والواو قبل النون تمثل ضمة طويلة ممالة .

ولما عرب هذا الاسم رسمت الهـاء الممدودة لفظا بدون ألف المـد محاكاة لصورة الاسم فى العبرية الخالية من ألف مد . ولا مبرر لهذا الحذف ، ومن ثم ارى من الواجب ان يكتب هذا الاسم كما ينطق به هكذا « هارون » .

ويرى العلامة فورست أن معنى هـذا اللفظ فى الأصل هو « مستنير » ، وهو علم على الأخ الأكبر لموسى ، وكان يعد رئيسا لرجال الكهنوت ، ومن ثم أطلق على هؤلاء الرجال « أبنـــاء هارون الكاهن » (يوشع : ٢١ـ٤) ، كما أطلق عليهم فى التلمود « الهارونيون » .

« **حامد عبد القادر** »

مواقف رائعة فى قصة الحديبية

بقلم : محمد محمد المدنى

مواقف كثيرة فى **«قصة الحديبية»** يتجلى فيها حلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورحمته ، وبره وحكمته ، وهدوء نفسه ، وشجاعة قلبه ، كما يتجلى فيها ثقته بوعد ربه وانه لا يضيعه ، وترسمه لما رسمه الله له لايحيد عنه مهما عارض المعارضون ، وجادل المجادلون :

فمن ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اعتزم الخروج من المدينة قاصدا الى مكة لاداء العمرة — وكان ذلك فى مستهل ذى القعدة من السنة السادسة للهجرة — استنفر الناس للعمرة معه فلباه عدد من المهاجرين والانصار يقدر بالف واربعمائة ، وكان معه من امهات المؤمنين زوجته ام سلمة رضى الله عنها ، وقد حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على الا يحمل احد سلاحا الا سلاح المسافرين — وهو السيوف فى قرابها — وعلى ان يسوق الهدى بين يديه سبعين بدنة حتى يعلم الناس انه لم يخرج غازيا ، وانما خرج زائرا للبيت الحرام ، معظما له ، لايريد الا اداء النسك ، فيامن له القرشيون .

واذا اردنا ان نقف امام هذا الصنيع متاملين لنعطيه تقديره السياسى والحربى فيما تجرى به عادة الناس ، فاننا نقول : ان هذا الموقف كان غاية فى الجراءة والشجاعة والبسالة ، وغاية كذلك من حيث السياسة والحنكة : اما انه غاية فى الشجاعة ، فلأن قريشا كانت تحتفظ للرسول والمسلمين باشد العداوة ، وكانت تتربص به وبهم الدوائر ، فقدومه عليهم ، وهو غير متأهب للقتال ، واكتفاؤه بالعدد الذى لباه من المهاجرين والانصار ، وهو عدد يسير اذا علمنا انه سيدخل مكة ، ونسبناه الى عدد سكانها المشركين ، يعد جراة عظيمة تصل الى حد المخاطرة والفدائية ، فلعل قريشا كانت تنتهز هذه الفرصة فتحاول القضاء على دعوة الحق ، وعلى هؤلاء الذين يحملون لواءها ، وعلى هذا النبى الذى هدم دينهم وعقائدهم ، وطعن فى آلهتهم ، وسفه احلامهم ، فهل كان يكفى فى درء هذا الخطر عن الرسول واصحابه ان تراهم قريش وقد تخففوا من السلاح ، وساقوا البدن معلنين انهم انما جاءوا معتمرين ؟ ان احدا من القادة المحنكين ، اذا ترك ومااتمليه الظروف كفرد من افراد البشر الذين لايوحى اليهم ، ما كان يجرؤ على ارتكاب متن الخطر والمجازفة على هذا النحو .

واما ان هذا الصنيع غاية فى السياسة والحنكة فان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يعرف منزلة البيت الحرام فى نفوس العرب عامة ، وقريش خاصة ، وانهم كانوا يعظمون امره ويقدسونه ويحمون زائريه ، ولايرون القتال فيه ، ولا فى الاشهر الحرم ، فهو بذلك يورطهم : فاما ان يتركوه واصحابه يعتمرون ، وحينئذ يبدو المسلمون فى هيئتهم الرائعة وهم يؤدون نسكهم على وجه صحيح يتفق ودعوتهم وماجاءوا به من عبادة الله وحده ، وخلع الاوثان والتقاليد الفاسدة فيكون ذلك دعاية للاسلام اى دعاية ، واما ان يصدوه عن البيت الحرام هو واصحابه فتعلم بذلك العرب كلها ، وتبدو قريش فى موقف المتجنى الذى يصد عن البيت الحرام من جاء اليه معظما له طائفا به ، فينقم عليها الناس وينقم بعضها على بعض ، بينما يكسب المسلمون عطفا عاما من مختلف القبائل بل من بعض القرشيين انفسهم ، كما هو شأن المضطهدين المسالمين .

كان هذا الصنيع اذن متسما بالحنكة والسياسة كما هو متسم بالجراة والشجاعة .

ومن ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، علم وهو فى طريقه الى مكة ان قريشا قد سمعت بمسيره فخرجوا ومعهم العوذ المطافيل — اى النوق الابل الحديثة العهد بالولادة — وذلك كناية عن السرعة والتعجل حتى انهم لا ينتظرون بابلهم وقتا تقوى فيه بعد الولادة — وقد لبسوا جلود النمور —

وهو كناية عن غضبهم وتنمرهم واستعدادهم للشر — وقد نزلوا «بذى طوى» يعاهدون الله لايدخلها محمد عليهم ابدا ، وان خالد بن الوليد فى خيلهم التى اقدموها الى «كراع الغميم» — وهو واد قريب من مكة .

علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ، وادرك سوء نيتهم ، وخطر المضى فى طريقه ليلتقى بهم ، فماذا كان موقفه ؟ انه قال قولا ، وفعل فعلا فاما قوله الذى قال ، فهو كلمته المشهورة التى تفيض قوة وايمانا واستمساكا بدعوته ، كماتفيض رحمة وحنانا بمخالفيه الملحين فى عداوته ، السادرين فى عناده — قال : «ياويح قريش ! لقد اكلتهم الحرب ماذا عليهم لو خلوا بينى وبين سائر العرب ، فان هم اصابونى كان ذلك الذى ارادوا ، وان اظهرنى الله عليهم دخلوا فى الاسلام وافرين ، وان لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة ! فما تظن قريش ؟ فوالله لاازال اجاهد على الذى بعثنى الله به حتى يظهره الله او تنفرد هذه السالفة !» — والسالفة صفحة العنق ، وكنى بانفرادها عن الموت ، لانها لاتنفرد عما يليها الا به — واما فعله الذى فعله ، فهو اخذه ذات اليمين ليسلك باصحابه غير طريق خالد ، فلما كان فى ثنية المرار — وهى مهبط الحديبية من اسفل مكة — بركت ناقته القصواء ، فتحدث الناس قائلين : خلات القصواء — اى جهدت واصابها الكلال وبركت فى مكانها لاتريد ان تبرحه — فقال عليه الصلاة والسلام «ماخلات وماهو لها بخلق ، ولكن حبسها حابس الفيل ، والذى نفس محمد بيده : لاتدعونى قريش اليوم الى خطة فيها صلة الرحم الا اعطيتهم اياها» .

ففى هذا الموقف الرائع تتجلى صفة الرحمة التى يتصف بها الرسول ، اذ يتحدث عن اعدائه ومناوئيه بهذه اللغة المهذبة ، فيستعرض امرهم ، وكانه يشير عليهم مخلصا بما يجب عليهم ان يفعلوه من التخلية بينه وبين سائر العرب ، فاما ان يستريحوا منه ، واما ان يستفيدوا من نصره ، واما ان يحتفظوا بقوتهم لنضاله فيما بعد ان شاءوا ، ثم هو يطمعهم فى رحمته ، اذ يعلنهم انه سيقبل منهم كل مايدعونه اليه مما فيه صلة الرحم ، وفى هذا الموقف ايضا يظهر للناس انه صلى الله عليه وسلم انما يسير مسيرته هذه بامر الله وتدبيره ، فان ناقته انما حبست فى هذا المكان كما حبس الفيل من قبل عن مكة فى حرب ابرهة ، واذن فهى مسخرة بامر الله ، ووقوفها فى هذا المكان علامة من العلامات التى ادركها الرسول صلى الله عليه وسلم .

ومن ذلك انه دارت بين الفريقين احاديث استكشافية ، كان هدفها من المشركين معرفة حقيقة ما جاء له محمد واصحابه ، وهدفها من المسلمين تامين قريش وتاكيد انهم انما جاءوا زائرين معتمرين ، لا غازين محاربين .

وفى هذه المرحلة من **«القصة الحديبية»** نجد كثيرا من الطرائف التى احتفظ التاريخ بتفاصيلها ، والتى تدل على ما كان يتمتع به الرسول يومئذ من ثبات وحلم وهدوء اعصاب ، وماكانت عليه قريش من اضطراب وقلق نفسى عظيمين .

فقد رووا : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اطمان بالحديبية ، جاء اليه رجل من خزاعة يقال له بديل بن ورقاء — وكانت قبيلة خزاعة تميل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخلص له النصح مسلمها ومشركها لا يخفون عنه شيئا كان بمكة — وكان مع بديل جماعة من قومه ، فكلموه صلى الله عليه وسلم وسالوه : ما الذى جاء به ، فاخبرهم أنه لايريد حربا ، وانما جاء زائرا للبيت ، ومعظما لحرمته ، فرجعوا الى قريش فقالوا : يا معشر قريش انكم تعجلون على محمد ، ان محمدا لم يات لقتال ، وانما جاء زائرا لهذا البيت ، فاتهموهم ، وجبهوهم ، وقالوا : وان كان جاء ولا يريد قتالا ، فوالله لا يدخلها علينا عنوة أبدا ، ولا تحدث بذلك عنا العرب !

ورووا أيضا ان قريشا بعثت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل اسمه مكرز بن حفص من بنى عامر بن لؤى ، فاستخبره فاخبره بمثل ما أخبر به بديلا ، فرجع اليهم فلم يقتنعوا أيضا .

ورووا كذلك أنهم بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يسمى « الحليس » وكان سيد الأحابيش ، فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ورآه عرفه وقال : ان هذا من قوم يتالهون — اى يميلون الى تعظيم امر الاله ، واحترام الدين — فابعثوا الهدى فى وجهه حتى يراه ، فلما راى الهدى يسيل عليه من عرض الوادى فى قلائده ، وقد أكل اوباره من طول حبسه عن محله ، رجع الى قريش ولم يصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظاما لما راى ، فقال لهم ذلك ، فقالوا له : اجلس فانما أنت أعرابى لا علم لك ، فغضب وقال : يا معشر قريش ، والله ما على هذا حالفناكم ، ولا على هذا عاقدناكم ، أيصد عن بيت الله من جاء معظما له ؟ والذى نفس

الحليس بيده ، لتخلن بين محمد وبين ما جاء له ، أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد ! فقالوا له : كف عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به .

كما رووا : أنهم بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عروة بن مسعود الثقفي ، وانه قال لهم قبل أن يذهب : يا معشر قريش ، اني قد رأيت ما يلقى منكم من بعثتموه الى محمد اذ جاءكم ، من التعنيف وسوء اللفظ ، وذكرهم باخلاصه لهم ، ومكانته فيهم لكيلا يتهموه ، فقالوا له : صدقت ما أنت عندنا بمتهم، فخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلس بين يديه ، وكلمه كلاما ، ورأى أصحابه وكيف يجلسون حوله وكأنما على رءوسهم الطير ، ويبتدرون ماء وضوئه ، وما عسى أن يسقط من شعراته ، تبركا بذلك وتحفظا عليه ، فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل ما كلم به من قبله ، واخبره أنه لم يأت يريد حربا ، فقام من عنده وقد رأى ما رأى ، وسمع ما سمع ، فرجع الى قريش فقال : يامعشر قريش : اني قد جئت كسرى في ملكه ، وقيصر في ملكه ، والنجاشي في ملكه ، واني والله ما رأيت ملكا في قوم قط مثل محمد في أصحابه ، ولقد رأيت قوما لايسلمونه لشيء أبدا ، فروا فيه رأيكم !

ومن جانب المسلمين روى الرواة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خراش بن أمية الخزاعى فبعثه الى قريش بمكة ، وحمله على بعير له ، ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له ، فعقروا به جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأرادوا قتله، فمنعته الأحابيش، فخلوا سبيله حتى عاد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ويقابل هذا الاعتداء ما رووه من أن قريشا كانوا بعثوا اربعين رجلا منهم أو خمسين رجلا ، وأمروهم أن يطيفوا بعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليصيبوا لهم من اصحابه احدا ، فأخذوا أخذا ، فأتى بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعفا عنهم، وخلى سبيلهم ، وقد كانوا رموا في عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجارة والنبل .

كل هذا يصور ثبات النبى صلى الله عليه وسلم وثبات أصحابه معه ، ويصور اضطراب قريش وقلقها، وانهيار أعصابها ، والا ففيم ترسل اليه الرجال رجلا بعد رجل ، وتختار منهم وتنتخب من تثق به ،وتطمئن اليه ، فاذا انباوها بواقع الأمر في رحلة النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، أبت الا عنادا واستكبارا ؟

انها في الحقيقة لم تكن تدري ماذا عليها أن تفعل، وكان الخوف والرعب يستوليان عليها ، وكان رجالها انفسهم ، وحلفاؤها ، قد بدءوا يتمردون عليها ويهددونها ، ويعيبون عليها موقفها .

وهكذا استقامت خطة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وظهر ما تنطوى عليه من المهارة السياسية ، ومن الحكمة والتقدير الصحيح للأمر ، وادراك الوزن الصحيح لما عليه القرشيون ، ولما سينتهى اليه شأنهم .

وقد استمرت الحكمة وهدوء الاعصاب يسودان موقف المسلمين ، ثم أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث اليهم رجلا من أصحابه ، ليبين لهم ان الأمر جد لا هزل فيه ، ولا مواربة ولا خداع ، فدعا عمر بن الخطاب ليبعثه اليهم فقال عمر: يارسول الله، ليس لى بمكة أحد يغضب لى ان اوذيت، فأرسل عثمان بن عفان ، فان عشيرته بها ، وانه مبلغ ما أردت .

ولم يكن هذا الموقف الا عين الحكمة من عمر ، فما ينبغى للمؤمن أن يعرض نفسه لهلاك محقق لا فائدة فيه ، وانما عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك على عمر ، رغبة في أن يكون مبعوثه الى قريش رجلا قويا مهيبا ذا شخصية ممتازة معروفة ، فلما قال له عمر ماقال ، وافقه على مارأى ، وقدر ماذكره من العذر عن ذلك ، وتلك سنة الشورى وتبادل الرأى ، والسماحة والحكمة فيمن بيده القيادة ، وأقول : ان عمر رضى الله عنه لو ذهب لما أصابه مما توقعه شيء ، فان الله حاميه وكالئه ، وان أمر هذه الرحلة كلها كان بتدبير من الله ، وأمر أمر به رسوله ، والرسول صلى الله عليه وسلم يعرف ذلك كما بدا في كثير من كلامه وتصرفه ، ولكن الحكمة بعد أن قال عمر ما قال ، تقضى بأن يقبل وجهته ، ولا يكله الى ما يعلم في نفسه عن الله ربه ، فان تقدير الأسباب والأخذ بها هو قاعدة التصرف فيما يفعله الناس ، ولا سيما في مثل هذا الموقف ، **والخلاصة** أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يفته ما ذكره عمر من الأسباب التي اعتذر بها ، ثم لم يشأ أن يحمله على الأمر حملا فيقول له مثلا : بل اذهب والله معك ، فآثر أن يقبل عذره سماحة منه ورحمة وحسن تقدير ، وتشريعا للقادة .

فلما ذهب عثمان ، طال غيابه في قريش ، وترامى الى المسلمين انهم قد قتلوه ، وهنا ثارت حمية الايمان بالرسول والمؤمنين ، فكانت بيعة الرضوان .

« **محمد محمد المدني** »

الدِّينُ وَالأَخلاق

بقلم: عمر الدسوقي

في احدى ندوات النادي العربي ببنغازي أثار شاب العلاقة بين الاخلاق والدين ، وقال : انه من الشباب المستنير الذي يعرف الخير والشر والفضيلة والرذيلة ، وانه يتبع الحق ويتجنب الباطل بدون حاجة الى الدين في كل هذا ، وانه يحكم ضميره في كل ما يعرض له ، وبه يميز الحسن من القبيح .

وقد آثرت أن تكون الاجابة على صفحات « الرسالة » الغراء : لانها اليوم القلعة التي تذود عن مقومات شخصيتنا ، ومثلنا العليا ضد الآراء الفجة المنحرفة التي ترمي الى اضطرابنا الفكري ، وزلزلة العقيدة السليمة في نفوس الشباب . واعتناق مذاهب وآراء ليست نابعة من واقعنا ، ولا متمشية مع تقاليدنا وعقيدتنا ، وانما نشأت في بيئات طغت عليها المادة ، فتقطعت فيها الاواصر بين الافراد والامم ، واضطربت المقاييس الخلقية ، وانطلقت غرائز الشر من عقالها في نفوس الافراد تحت ستار الحرية الشخصية والاجتماعية ، وصارت القوة لا العدالة شريعة الحياة .

وآثرت أن يكون الرد عاما لا خاصا ، لان هذا الشاب واحد من كثيرين استهوتهم بعض الآراء المستوردة وحاولت فتنتهم عن دينهم ، حتى يسهل على التيار المنحرف أن يجرفهم بعيدا عن الجادة ، ويمسخهم مسخا مشوها ، واقول بهذه المناسبة : اننا لسنا ضد الحضارة الغربية في جملتها ، فالحضارة أيا كانت تراث انساني عام ، وعلينا أن نأخذ منها ما يزيد في قوتنا وينمي شخصيتنا ، لا أن نتهافت عليها تهافت الفراش على النار يظل يحوم حولها حتى يحترق . نأخذ منها الحسن وندع القبيح ، نأخذ ما يلائمنا وينسجم مع مثلنا العليا وعاداتنا الكريمة ، وندع ما ينزلق بنا الى أوضار المادة الحالمة فنتردى في أوحالها . كما أننا لا نريد أن نتقوقع كما يقول بعضهم ، ونعيش بعيدين عن الفكر العالمي ، ولكن هذا الفكر فيه الطيب والخبيث ، وفيه حل لمشكلات لا وجود لها لدينا البتة ، وفيه علاج لآفات اجتماعية لانظير لها عندنا ، ومن الخير لنا كل الخير أن نتفهم هذا الفكر ونناقشه بعقلية واعية ، ونعرضه على ما لدينا من موازين حضارية وثقافية ودينية واجتماعية ، ونأخذ منه كل ما يدفعنا دفعا حميدا في درج الرقي محتفظين بطابعنا العام ، ومثلنا العليا وروحانيتنا ومقومات شخصيتنا .

وبعد ، فالموضوع الذي أثاره « الشاب المستنير » ـ وهو العلاقة بين الدين والاخلاق ـ موضوع قديم تكلم فيه الفلاسفة الاوربيون ، وتكلم فيه علماء الكلام المسلمون ، يقول : انه يعرف الخير والشر والفضيلة والرذيلة ، وقديما قرن « سقراط » الفضيلة بالمعرفة ولكننا نشاهد كثيرا من الناس في الحياة يعرفون الخير ولا يأتونه ، ويعرفون الشر ويرتكبونه ، ولهذا خالف افلاطون أستاذه سقراط في نظرية المعرفة هذه ، كما خالفه ارسطو ونادى بأن الفضيلة بنت العادة ، وأنها وسط بين طرفي الافراط والتفريط . وخاض في موضوع الاخلاق والدين الفيلسوف الالماني « كانت » وقال بالارادة الخيرة ، والارادة العاقلة وأنكر كل الانكار الاخلاق الدينية ، وكذلك فعل الفيلسوف سبونوزا ، وأصحاب الفلسفة الوضعية وغيرهم .

وتكلم المعتزلة في حسن الافعال وقبحها ، وكذلك فعل أهل السنة ، ولا أريد هنا أن استعرض آراء الفلاسفة في القديم والحديث عن الاخلاق ، فذلك يخرجنا عن نطاق بحثنا ، وله مواطنه وكتبه الكثيرة فليرجع اليها من شاء .

ويقول « الشاب المستنير » انه يحكم ضميره فيما يعرض له وبه يميز الحسن من القبيح ، والخير من الشر ، والضمير هذا ليس واحدا لدى جميع الناس بل يختلف من شخص لآخر ، فقد يوحي الضمير لشخص ما بأن هذا الشيء خير ، ويوحي الى آخر بأنه شر ، ولا يمكن أن يكون ضمير كل انسان على صواب ما دام هناك اختلاف في التقدير والنظر الى الاشياء

اذا سألت الذين يضطهدون الزنوج في أمريكا عن هذا الاضطهاد لأجابوك : ان ضمائرهم مستريحة وانهم على حق فيما يفعلون ، وتسمع الجواب نفسه من الذين يناصرونهم ، وهكذا في كثير من الامور التي نراها ونسمع عنها مما يقع في الحياة .

واذا اختلف ضميران على فعل ما وتقديره ، فلابد أن واحدا منهما على صواب ، والآخر على باطل ، حيث

أن هذا العقل لا يمكن أن يقبل الخطأ والصواب في وقت واحد ، ولا بد من التحاكم الى قوة أعلى منهما لتفصل بينهما ٠

هل الضمير الانساني معصوم من الخطأ ؟ وكيف يمكن أن يكون معصوما ، والانسان تتحكم فيه غرائزه ، من حب للتملك ، والسيطرة والخوف ، والغريزة الجنسية ، تلك الغرائز التي جهد المجتمع الانساني منذ نشأته في تهذيبها وكبح جماحها بالعرف والتقاليد والقوانين الوضعية والشرائع السماوية وغيرها ، حتى يتمكن الناس من أن يعيش بعضهم مع بعض في انسجام وسعادة ٠

يذكر علماء الأخلاق في احصائياتهم الغربية ان كثيرا من الناس في أوربا تمنعهم ضمائرهم من المشاركة في اعتداء مسلح ، وقد يكون ذلك دفاعا عن الوطن ولمصلحته العليا ، وفيه حياتهم ، وقد يذهب بعضهم الى الامتناع عن دفع الضرائب لانها تسهم في تسليح الجيش ، وضمائرهم توحي لهم بأن الحرب أيا كان نوعها شر كبير ٠ فهل حكم هذه الضمائر يعد حكما سليما ؟ ٠

واذا صرفنا النظر عن الكلام على عصمة الضمير وتغيره ، وتناقضه ، وغموضه وحاجته الى تفسير ، فان التجارب الواقعية والتاريخية ، الفردية والدولية تدلنا على ان ثمة ضمائر فاسدة معكوسة ، مضطربة ، كما حدث ابان محاكم التفتيش والاضطهاد الديني ، والحكم الاستعماري الذي يستنزف دماء الشعوب ، ويضعها في مراتب الحيوان حين يسلبها حريتها ، والارادة الحرة في تصريف شئونها ، وهناك ملحوظة لطيفة لراسكين : اتبع ضميرك ، ولكن تأكد اولا انه ليس ضمير حمار ٠

هل الصواب هو ما تظنه صوابا ، والخير هو ما تظنه خيرا ؟ ، هل يتوقف ذلك على نظرتنا نحن الخاصة الى الاشياء ؟

عندما يقرر صاحب الضمير عمل شيء يرى أنه خير او صواب لا يكتفي بانه يرى ذلك ، ولكن يريد أن يتأكد أن ما يراه هو الحق بعينه ، وهو بهذا لا يتوقف على نظرته الخاصة الى الشيء وشعوره نحوه ٠

ان ما توحي به ضمائرنا بانه صواب او خطأ ، خير او شر انما هو نتيجة لقيم معينة ، ووجهة نظر ، وشعور المجتمع وتصرفاته ، تلك الاشياء التي تعلمناها منذ الصغر ، ورأينا اصطلاح المجتمع عليها كما تعلمناها من آبائنا ومن مدرسينا ، ومن الكتب التهذيبية ٠

وهنا لا بد لنا ان نسأل : ما الضمير ؟ يقول فرويد ، انه شيء معقد مكون من العقيدة ، والاتجاهات والمشاعر التي تحدد موقفنا تجاه طرف أخلاقي ٠

اما كيف ينشأ هذا الضمير فيقول فرويد في تحليلاته النفسية : ان الطفل عندما يبدأ التمييز بين الاشياء في سنته الثانية تكون أمه هي كل شيء بالنسبة له ، ولذلك يهتم باعمالها تجاهه ، يراها تلبي رغباته وتشعره بالامن ، وتغذيه ، وتلاعبه ، ولذلك يحبها ، ويراها احيانا تقف في سبيل نزواته واخطائه وتردعه عنها ، وتعاقبه عليها ، ولذلك يكرهها ، وفي الغالب ينتصر الحب على الكراهية ، لان الرغبات والنزوات التي لاتلبى يصحبها التقريع والتوبيخ والاشعار بالاثم ٠ من هنا ينشأ الشعور بالاثم عند ارتكاب الخطأ ، وفعل الشر ، وتظل هذه الاشياء في العقل الباطن ، ويكبر الانسان ، ويتعلم كيف يعامل أبويه وأساتذته ، ومن هو أكبر منه سنا ، وكيف يتصرف ازاء وطنه ومبادئه ٠ وكثيرا ما تكون هذه المشاعر المكبوتة موسومة بالاثم ، ومن ثم يرتفع الانسان الى مستوى المجتمع الذي يعيش فيه كما يقول هكسلي ، يفهم الخير المطلق ، والعرف الاجتماعي ، والتبعات الاجتماعية ٠

اذن فالنشأة الاولى للطفل ، وما يتعلمه من أبويه ومدرسته في سني نموه ، واشعاره بالاثم على ما يرتكب من ذنوب ، وكبت نزواته وشهواته مع ما يصحب هذا الكبت من تقريع وتوبيخ واشعار بالذنب هو الذي يكون الضمير الانساني ، ويتوقف حكم هذا الضمير على الاشياء على ما وقر فيه منذ الحداثة الاولى من تعاليم ان صالحة أو فاسدة ٠ فهو ليس شيئا مجردا من تأثير العرف والتقاليد والعقائد والمنهج السلوكي في مجتمع ما ، ومن هنا كان اختلاف الضمائر ونظرتها الى الاشياء ، وتباين أحكامها على الشيء الواحد ٠

ومن كل هذا لا يثق كثير من علماء الاخلاق في مسألة الضمير هذه ، وأن يكون مصدرا للحكم الخلقي والقوانين الخلقية وحده ، بل يرون أنه لابد له من قوة تؤيده وترشده ، حقا ان الضمير شيء مهم في الانسان ، ولكن أي ضمير ؟ لابد له من تربية خاصة وتنشئة خاصة ليكون سليما ، وحكمه على الاشياء صحيحا ٠

وهنا يأتي دور الدين :

لقد قاوم فلاسفة ادباء ، وعلماء الاخلاق بها نظرية الاخلاق الدينية كما جاءت بها المسيحية واليهودية ، لان الدين في نظرهم ينظم الصلة بين الخالق والمخلوق فحسب ، ولا شأن له بامور المعاملات الانسانية ، في حين ان الاخلاق الفلسفية تنظم السلوك الانساني ، ولا شأن لها بالعبادات ، ثم ان مصدر الالزام الادبي في رأى هؤلاء العلماء انساني محض سواء أكان العقل أم الوجدان الخلقي أوالضمير أم ضرورة الحياة في المجتمع ، في حين أن الالزام في الدين مصدره الهي ، يفرض على الناس اخلاقا معينة رضوا بها أو كرهوها ، اقتنع العقل بها أم اباها . ويقولون أخيرا ان الشرائع الدينية تضع جزءا أخرويا : مثوبة أوعقوبة لمن يتمثل أوامرها أويعصيها جاعلة الهدف الوحيد للعمل هو نيل الثواب والنجاة من العقاب ، والباعث هو الرجاء أو الخوف ، فيحين ان الاخلاق الفلسفية تتطلب الخير لذاته ، وتتجنب الشر لذاته ، وقد لاتؤمن بجنة أو نار أو بحياةأخرى وبحسب الانسان عندهم حين يؤدى عملا ما أن يرضى ضميره .

ولعل هذا «الشباب المستنير» قرأ عن هذه الاشياء أو سمع بها ، ومن ثم راح يتفلسف كما تفلسفوا ، والعيب فيه ، كما في كثير ممن يتهجمون على معتقداتنا ومثلنا العليا ، هو جهلهم بهذه المعتقدات والمثل العليا ، وأخذهم بوجهة نظر غريبة عنا بدون تمحيص لها ، ودراسة عميقة لما عندنا ، وتراهم يتحمسون لهذه الآراء كأنما وقفوا على معول جديد يهدمون به تراثنا .

اذا كان هؤلاء العلماء قد نكروا من الدين المسيحي أو من الدين اليهودي أشياء فليس من الضروري ان ينطبق ذلك على الدين الاسلامي ، وهو خاتم الديانات وموقف الاسلام من هذه الاعتراضات واضح كل الوضوح واليك البيان :

ليس الاسلام دين عبادة فحسب ، ولكنه نظم العلاقة بين الانسان وربه ، وبينه وبين نفسه ، وبينه وبين المجتمع الذى يعيش فيه ، فجاء دينا متكاملا للعبادات والمعاملات والأخلاق ، جاء بتشريعاته المالية وقوانين المعاملات وقوانين العقوبات ، ووضع أسسا عامة للخلق الانساني الفاضل ، وبذلك يختلف عن الأديان الاخرى ، وبحسبنا أن نقرأ قوله تعالى : « قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم : الا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين احسانا ، ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ، ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ، ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ، ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هي أحسن حتى يبلغ أشده ، وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لانكلف نفسا الا وسعها واذا قلتم فاعدلوا ، ولو كان ذا قربى ، وبعهد الله أوفوا ، ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون ، وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » .

أو قوله تعالى : « ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذىالقربى ، وينهىعن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون » .

او قوله تعالى : « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ، وما يلقاها الا الذين صبروا ، وما يلقاها الا ذو حظ عظيم » .

ويوصينا سبحانه : « بالوالدين احسانا ، وبذى القربى ، واليتامى والمساكين والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم ، ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا » .

الى غير ذلك من الآيات الكريمة التى شرعت للانسان منهجا سلوكيا راشدا فى معاملة الناس وفى المجتمع بعامة .

اما الاعتراض الثاني ، وهو أن مصدر الالزام الخلقى لدى الدين الهى خالص ، والاوامر والنواهى تعبدية يجب على المرء أن يمتثلها سواء وافقت العقل ام لم توافقه ، فهذا لاينطبق على الاسلام البتة ، فالاسلام دائما يلجأ الى العقل المستنير ، والضمير الحى ، ويعطى الامر أو النهى ومعه العلة المقبولة . خذمثلا قوله تعالى فى المعاملات :«ولاتسأموا ان تكتبوه صغيرا أو كبيرا الى أجله ، ذلكم اقسط عند الله واقوم للشهادة ، وأدنى الا ترتابوا » فهو يامر بكتابة الدين أيا كان صغيرا أو كبيرا ، ويعلل لذلك حتى لايكون ثمة اختلاف يفضى الى الخصومة وضياع الحقوق . وخذ مثلا قوله تعالى : « وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » فهو لايقرنها هنا بالثواب والعقاب ، ولكن يعلل لوجوب الصلاة بأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر ، والمراد طبعا الصلاة التى تؤدى والذهن والقلب والوجدان

كلها حاضرة بين يدى الله ، فان المرء يستحى أن يقف بين يدى ربه وهو مرتكب للفحشاء والمنكر ، وهو يتذكر حين يهم بارتكاب شيء من هذا انه بعد قليل سيقف بين يدى لولاه ، فيقلع عما هم به .

وخذ مثلا قوله تعالى فى شرعية الجهاد : « اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا » فهو دفاع عن النفس ورد للظلم ، وقل أن تجد امرا أو نهيا فى القرآن غير مقرون بعلته اما تفصيلا كالآيات السابقة أو اجمالا كقوله تعالى : « واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به » ، وقوله تعالى: « فاسعوا الى ذكر الله ، وذروا البيع ذلكم خير لكم »

وبهذا نرى أن الاسلام لايجافى العقل ، ولايصدر احكاما صارمة ، ان الاسلام عندما كان يخاطب الكفار كان يناشد عقولهم ووجدانهم : « أم تامرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون » فهو هنا يحتكم الى عقولهم ولا شك ان الله سبحانه خلق الانسان مزودا بنور العقل ، وبالضمير ، وقد كان لهما قبل نزول الشرع وتبيان الوحى القول الفصل فيما يعمله الانسان من خير وشر . يقول الله سبحانه : « ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها » ، ويقول : « بل الانسان على نفسه بصيرة ولو القى معاذيره » ، ولناخذ مثلا عرب الجاهلية وكيف سادت بينهم مجموعة من الاخلاق الكريمة ، تواضعوا عليها ، واتصفوا بها ، وحلت بينهم محل القانون ، هدتهم اليها عقولهم ، وضرورة الحياة فى بيئتهم الصحراوية ، من مثل : الشجاعة ، والكرم ، والوفاء بالوعد ، واغاثة الملهوف والحدب على الضعيف ، حتى قال النبى عليه الصلاة والسلام ، وهو يعرض نفسه ورسالته على القبائل ذات مرة ، ورأى ما هم عليه من أخلاق : « اية اخلاق كانت للعرب فى الجاهلية ، بها يتحاجزون فيما بينهم » ، وقال عليه السلام : « انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » ، فقد كانت هناك اخلاق كريمة وجاء الاسلام ، ليهذبها ويوجهها وجهة خيرة ويتممها، أجل ! كانت هذه الاخلاق فى الغالب موجهة الى الزهو الفردى والمجد القبلى ، ولم توجه الى خدمة المجتمع ، فالكرم مثلا كان فى الجاهلية أريحية وجودا يأتيه الشخص مخافة المذمة والعار ، وخرق قانون الصحراء ، فى حين أنه صار فى الاسلام أريحية وجودا ، وزكاة واجبة الأداء فيها حق معلوم للسائل والمحروم .

وينادى علماء أوربا الاخلاقيون اليوم بالرجوع الى أخلاق البدائى النبيل ، كما يقول « السير تيلر » فى كتابه علم الانسان « انتروبولجى » ! لأن الاخلاق فى الحضارة الاوربية الحديثة قد فسدت فسادا ذريعا .

فالاسلام وفلاسفة الاخلاق على السواء يقرون بسيطرة العقل والضمير فى المجتمع البدائى ، وأن الحسن والقبح رهن بهما .

ويقول علماء الاسلام ان ما يامر به العقل وينهى عنه قبل نزول الشرع ، لا يترتب عليه ثواب أو عقاب « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » .

على أن الاسلام لم يهمل العقل والضمير بعد نزول الوحى والشريعة ، فان النور لاينسخ النور ، ولكن جاء لتوجيههما ، وتاكيد عملهما ، فهناك أمور مجال العقل فيها واضح وحكمه حاسم اقرها الاسلام واكدها لأنها قانون الفطرة مثل حسن الصدق النافع وقبح الكذب الضار ، وحسن العطف على الفقير والضعيف الى غير ذلك من الامور التى لايختلف فيها اثنان .

وهناك امور قد تختلف فيها العقول وتتباين الضمائر ، ويغشى العقل بعض الظلام والاوهام فى تقرير الصواب ازاءها مثل : الخمر والربا ، والصدق الضار ، والكذب الابيض ، فيوضح الشرع ما يجب على العقل أن يفعله فى مثل هذه الامور متوخيا الحكمة والرشاد الى سواء السبيل ، مراعيا النفع العام لا الخاص .

هذا ولا يمكن الاستغناء عن العقل ونوره والضمير اليقظ وحكمه حتى بعد نزول الشرع ، فان القوانين الخلقية فى الاسلام جاءت فى معظمها عامة ، تحتاج الى تفصيل وتحديد ، فعندما يقول الله سبحانه :«ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون » فانه يترك تحديد ما هو عدل ، وما هو احسان وما هو فحشاء ومنكر الى تقدير الوجدان الخلقى الذى تربى تربية اسلامية ، وتشرب روح الاسلام الحقة ، وعرف أمثلة عدة لما هو عدل وما هو احسان وما هو فحشاء وما هو منكر .

ان هذا الضمير ليس مطلق ضمير ، وانما هو الضمير المستنير بنور الاسلام الذى تربى تربية خاصة ، ونشيء منذ الصغر على معرفة الحق والعدل والفرق بين القبيح والحسن والاحسان والاساءة ، ووقرت فى أعماقه حتى صار يصدر عنها بعدما شب فى كل أعماله وأقواله ، وهذا هو معنى قوله عليه

الصلاة والسلام : « اذا أراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من نفسه يأمره وينهاه » ، هذا الواعظ المتأدب بأدب الشرع هو الحارس على النفس الانسانية يوجهها نحو الخير وينأى بها عن الشر ، وهذا هومعنى قوله عليه الصلاة والسلام : « استفت قلبك ، واستفت نفسك ، البر ما اطمأنت اليه النفس واطمأن اليه القلب ، والاثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر ، وان أفتاك الناس وافتوك » .

فمتى تربى هذا الضمير تلك التربية الحقة ، كان هو الحكم ، لانه يستطيع ان يميز ما يتمشى مع روح الشريعة ، وما يجافيها في أى مكان وأى زمان .

وبهذا الضمير الحي اليقظ المستنير بنور الشريعة وهدايتها لايكون عمل الانسان آليا ولا تعبديا كما يزعم علماء الاخلاق ،فقد رأينا ان الاسلام يناشد العقل والضمير دائما ، وقد جاء مؤيدا لهما ، رافدا لنورهما ، موجها لهما توجيها سديدا حتى لايضلا ، فالالزام الادبي في الاسلام الهي انساني معا .

والفرق بين هذا الضمير المستنير بنور الشرع ، والضمير العادي في العمل الخلقي ، أن الاول لايتردد ولا تختلط عليه الامور ، ولا يتحكم فيه الهوى ، وتجرفه الغريزة ، على العكس من الثاني كما بينا في صدر هذا المقال .

بقي الاعتراض الثالث وهو مسالةالثواب والعقاب التي أثارها فلاسفة الاخلاق في اعتراضهم على الاخلاق الدينية ، ولا أريد هنا ان استعرض الثواب والعقاب لدى اليهودية والنصرانية ، ولكن الاسلام اذا كان قد وعد المتقين جنات تجري من تحتها الانهار ، والعاصين والكفار نار جهنم ترغيبا وترهيبا تمشيا مع ما ركب في الانسان من غرائز حب التملك والجزاء والخوف ، وما في ذلك من تحريض على فعل الخير وتجنب الشر ، فان الاسلام قد راعى الا تكون الغاية من العمل هي الثواب وحده ، وانما الغاية التي يهدف اليها هي وجه الله مخلصا له الدين ، وهذا تعبير روحي عن أداء الواجب لذاته ، وقد تردد مئات المرات في القرآن الكريم « الا من أتى الله بقلب سليم » و « جاء بقلب منيب » ، وقد سئل النبي عليه السلام عن الجهاد بدافع الحمية او لطلب الغنيمة ، او للذكر الحسن ، فاوما الى أن شيئا من ذلك ليس جهادا في سبيل الله قائلا : « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله» ، اما ما عدا ذلك من مطامع فهو في نظر الاسلام اما رجس وفسوق من عمل الشيطان كالرياء والسمعة ، واما ضرب من المباح لاقيمة له ولا ثواب عليه اذا كانت غايته هي طلب الجنة والنعيم .

ان اطمئنان النفس وراحة الضمير التي نادى بها فلاسفة علم الاخلاق في أوربا قد نادى بها الاسلام كذلك وجعل لها في العمل منزلة كبيرة . يقول الله سبحانه وتعالى : « يأيتها النفس المطمئنة ، ارجعي الى ربك راضية مرضية » ، ويقول سبحانه « وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية » فالغاية هي اطمئنانها ورضاها عن عملها ، وفي الحديث : « من ساءته سيئته وسرته حسنته فهو مؤمن » فضميره يكون مستريحا اذا عمل الحسنة،منكدا اذا اقترف السيئة وهذه لعمري نتيجة التربية الخلقية الدينية .

وكثيرا ما ذكر الله سبحانه وراء الجنة ونعيمها جزاء أكبر من ذلك وهو رضا الله ومحبته «ورضوان من الله أكبر » ، « فاتبعوني يحببكم الله » .

وما الجنة ونعيمها والنار وعقابها الا رمز لرضا الله وسخطه ، وفيها دلالة معنوية تفوق ما يصحبهما من نعيم او عذاب حسي ، في الجنة تكريم ، وفي النار اهانة : « ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته » .

من كل تقدم نرى أن الفلسفة الخلقية في الاسلام هي الفلسفة المثلى ، ولا يمكن للضمير الانساني وحده ولا للعقل الانساني وحده أن يكونا عمادي العمل الخلقي ، بل لابد لهما من الايمان المستقر في أعماق النفس ، ولابد لهما من هداية الشرع ، فالايمان يعطيهما قوة وعاطفة ، وهداية الشرع تبعدهما عن التخبط والاختلاف والتضارب .

والمسالة في نظر الاسلام ليست مجرد عمل آلي تعبدي يمارسه المرء ، ولكن لابد أن يشعر الانسان بالمسرة وهو يؤدي الخير ويتجنب الشر ، يحس بذلك في أعماق نفسه التي تربت تربية خلقية دينية . فالذي يتصدق وهو كاره للصدقة لاتتقبل منه: «أفرأيت الذي تولى واعطى قليلا واكدى » ، « ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما » .

والذي يصلي غير منشرح صدره للصلاة ، وغير نشيط لها فرح بها لا تتقبل منه « ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ، ولا ينفقون الا وهم كارهون » لأنهم فقدوا الايمان وفقدوا العاطفة الدينية .

ان الغاية من التربية الخلقية في الاسلام تتمثل في قوله تعالى : « ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم ، وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون ، فضلا من الله ونعمة ، والله عليم حكيم » .

وبعد ، فارجو ان يكون فيما قدمت جوابا للشباب المستنير ، والله الموفق للصواب .

ليبيا ـ عمر الدسوقي

الشيخ ضارى

جد الرئيس عبد السلام عارف

بقلم: محمود منصور البرشومى

طاف بالنـــاس طائف يسالكم احســانا ويطلب رفدهم وعطاءهم • وكان هؤلاء الناس بطبيعة حياتهم البدوية فى القديم ميــالين للخير ، محبين للعطاء ، يعتبرون من يمر على مضاربهم ضيفــا ، ويتنافسون فى اكرامه والحفاوة به ، وويل للعشيرة التى لاتكرم ضيفها ، أو الغريب عنها ، انها تصبح حديث العشائر الاخرى ، وويل لها اذا جاء وقت الغداء او العشاء ولم يطعم الغريب شيئا •

كان الطائف الذى يمر على عشائر «زوبع» اسمر طويلا ذا ملامح عربية • يتحدث بلهجــة بدوية ، وكانوا يأنسون بأحاديثه ، ويهشــون للقــائه • ويحملونه وهــو منصرف عنهم بعض خيرات أرضهم وماشيتهم •

كان يطوف عليهم كثيرا ، ويمــكث بينهم ضيفا اسابيع واســابيع ، ولم يكونوا يعرفون عنه الا انه بدوى طواف ، ضعيف الحال ، بحاجة دائمــا الى الاطعام والايواء •

ولم تكن أحاديث جدهم الاكبر حاتم الطائى بعيدة عنهم ،بل كان يعرفها الكبير والصغير، والامى والذى أصاب حظا من التعليم •

وهم فى كل أحوالهم يفتــخرون بهذه الاحاديث ويحاولون جاهدين أن يحققــوها ، ولو كان الرجل منهم فقيرا ، حتى انه ليقترض ليكرم ضيفه «أو يقوم بواجبه » كما يقولون •

واستمر الرجل الاسمر الطواف يعــاشرهم ويمر على مضــاربهم مدة من الزمن ، فيتحفهم بأحاديثه ويتحفونه بطعامهم وكرمهم •

واستمرت عشائر «زوبع» على خلقها هذا معه ومع غيره ، وهم هادئون فى أراضيهم الشاســعة التى يسقيهــا نهر الفرات ، ويرعون اغنامهم فى اراض مليئة بالكلا والعشب ، وقد ســكنوا الى الزراعة والرعى واطمــانوا الى فضــل الله عليهم فانشاوا لهم « **خانا** » على الطريق الى بغداد يأوى اليه المسافرون مستريحين من وعنــاء السفر قبل دخولهم بغداد • يأوون اليه الليلة أو الليلتين ثم يتجهــون الى بغداد بعد راحتهم •

فى هذه الاثناء انتهت الحرب العالمية الاولى ، وبدأ الانجليز والفرنســيون يتفقون على تقسيم الشرق ويطلقون أيديهم فى خيراته ، وكانوا قبل استيلائهم عليه قد مهــدوا لذلك بجيــوش من المستشرقين والدارسين والجــواسيس • حتى اذا جاءوا حكموا بطريقة علمية صحيحة، وامكنهم أن يحتكروا الخامات والخيرات بطريقة منظمة •

واستولوا على العراق وهم يحسبون أنهم بدراستهم لشعبه عن طريق جواسيسهم يستطيعون أن يحكموه مستغلين له • ولكن أنى لهم ذلك والشعب عربى حر أصيل يأبى الضيم ويقاوم ما استطاع الى المقــاومة سبيلا •

وما زاد الطين بلة أن عشائر زوبع وجدت أن الحاكم العام للعراق هو ذلك الاسمر الطويل الذى كان يمر عليهم طالبا رفدهم وعطاءهم •

اذن لم يكن هذا الذى يمر عليهم الا جاسوسا قد تزيا بزى «المكدين ، والشحاذين»

استقر له الامر فى بغداد كما يخيل اليه ، وارسل للقبائل والعشائر يستدعيها لتقدم له فروض الطاعة والولاء •

وبدأت بعض القبــائل تموه عليه بالذهاب اليه مسلمة فى بغداد ، وهى فى الخفاء تتفق فيما بينها على الثورة الكبرى ، وكبر على الشيخ ضارى شيخ عشائر زوبع أن يذهب اليه ، وحرم على نفسه زيارة بغداد حتى لا يحرج بالذهاب اليه ، وبدأ الشــيخ ضارى يتصل بعلماء الدين وبأصحاب الرأى ، وبدأ الجميع يمهدون للثورة على الانجليز الذين استولوا على أرضهم وبلادهم •

كانت الاتصالات سريعة وحاسمة ، وكان الاتفاق بين الجميع واضحا ، واظهر الشــعب روحا طيبة

بالتفافه حوله زعمائه . اليس الوطن وطنهم جميعا فلماذا لايدافعون عنه ولماذا لايقفون صفا واحدا أمام اعدائهم وأعداء دينهم من المستغلين والمستعمرين .

وخرج الحاكم العام للعراق «ليتشمان» ذلك الذى عرف العشائر وتعرف بها ودرس لهجاتها وعاداتها ، خرج ليطوف عليهم من جديد فى شكل سيد وحاكم. يريد الولاء وأن يدين له الناس به .

ومن عادة العربى أن يستقبل أضيافه بالترحاب . ولكن العربى فى هذه المرة وقف موقفا سلبيا . فاذا عسكر ليتشمان بجنوده فى مكان ما ، رفض أهل هذا المكان الذهاب اليه وملاقاته ، فكان يرسل لزعمائهم فبعضهم يذهب اليه تقية حتى تأتى ساعة الصفر ، والبعض الآخر يعتذر بأنه غير موجود فى العشيرة وقد خرج لبعض شأنه .

خرج ليتشمان الى «خان ضارى» وهو يضمر خطة دنيئة فى نفسه ، وهو يعلم أن الشيخ ضارى أقوى رجل على حدود بغداد من جهة أبى غريب ، واتجه الى الخان ، وأرسل يطلب الشيخ ضارى الذى قارب الثمانين من عمره ، وبعد لأى ذهب الشيخ بعد أن استشار أعوانه وما ذهب الا لأن الرجل صار فى أرضه .

وبدأ ليتشمان خطابه معه بقوله «جاءتنى القبائل مؤيدة مهنئة وأنت لم تأت أيها الشيخ » .

فرد عليه الشيخ بقوله : أنا لا أذهب الى بغداد لكبر سنى ، وعندما أذهب اليها فان كانت هناك حاجة لزيارتك فسأزورك . قال له : أفهم من هذا أنك لاتؤيدنا ، فقال له الشيخ بصرامة وبحزم :

كيف أؤيد انسانا يحتل بلادى ويستغلها ؟ فقال ليتشمان : اذن أنت تثير القبائل ضدنا فقال الشيخ: زعماء الدين قد افتوا بأن من يتعاون معكم يكون خارجا على دينه وقومه .

فقال ليتشمان بدهائه : ولكنى أعلم أنك لاتؤيدهم لأنك أعظم منهم . فقال الشيخ : استغفر الله انهم سادتنا وكبراؤنا والموجهون لنا .

فقال ليتشمان : أعتقد انك بزيارتى فى بغداد ستحسم كل شىء ، والامبراطورية البريطانية ستساعدك وتساعد أبناؤك وعشيرتك. فقال الشيخ: « معاذ الله أن أخون وطنى وعشيرتى واسلامى ولقد قلت لك لا حاجة بى الى زيارتك ياليتشمان . فقال ليتشمان : اذن أنت تثير القبائل ضدنا وسترى عاقبة عنادك ، وأغلظ القول للشيخ وأهانه ، وقال له ما يثير الحليم ، فغلى الدم فى عروق أحد أبناء الشيخ وكان معه وهو شاب صغير لايتجاوز العشرين من عمره .

وكانت معه بندقية عتيقة . فسرعان ما وجهها لقلب ليتشمان ، وسرعان ما أطلقها عليه بالرغم من كثرة المحيطين بليتشمان من أعوانه ، وأخذت البادرة الواقفين فوجموا ، وسقط ليتشمان قتيلا مضرجا بدمائه ، ووجهالفتى حديثه للواقفين بقوله: لوتحرك واحد منكم فسأقطع رقبته .

وخرج الشيخ وابنه وبعض أعوانه الى مضاربهم مسرعين معتصمين بها .

واقبلت الامبراطورية بفرقة مزودة بأسلحتها فاستأصلت كثيرا من العشيرة ، وكانت هذه هى الشرارة الاولى لثورة سنة ١٩٢٠ .

وبدأت الامبراطورية البريطانية تركز قوتها على تلك المنطقة ، وبدأت بقية العشيرة بالخروج من مضاربها الى حدود سوريا وتركيا والى الموصل . وخرج الشيخ ببقية عشيرته وتحصن بالموصل .

ولكن بريطانيا لم تنس رجلها ليتشمان ووضعت جائزة لمن يقبض على الشيخ او احد ابنائه . وبالخيانة تمكنت من اصطياده وأتت به الى بغداد وحاكمته فحكمت عليه بالاعدام ، ولكنها لم تجرؤ على تنفيذ الحكم فيه فالقته فى السجن ، وتوفى فى خلال عام.

عاشت العشيرة فترة من الزمان بعيدة عن مضاربها . ومرت الايام وتمكنت العشيرة مرة أخرى من الرجوع الى أرض الآباء والاجداد .

ودار الزمن دورته وجاءت الثورة العراقية المباركة . فلم تنس هذا الثائر الذى استشهد فى سبيل دينه ووطنه فاصلحت الخان حتى يظل شاهدا على مواطن صالح مات فى سبيل وطنه وعروبته واسلامه . وبعد ثورة تشرين المجيدة، أقامت مسجدا ومدرسة ومستوصفا بجوار الخان .

والذى يغادر بغدادمتوجها الىالفالوجهاو الرمادى او متجها الى سوريا يرى منارة شاهقة ومسجدا ضخما ومدرسة بديعة ، تشير كلها الى رجل عظيم وتسمى باسمه . معلنة أن الشيخ ضارى سعيد ، اذ يقوم ابن اخته عبد السلام محمد عارف براجبه وبواجب الوطن فيثأر لكرامته ويثور على المستعمرين وأعوانهم، انما يعلنها كلمة صريحة قوية تعلى من شأن العروبة والعرب وتمجد من كفاحهم ، ومن أولى بالتكريم من الشيخ ضارى سيد عشائر زوبع وحفيد حاتم الطائى ، والعربى المسلم الذى كافح بعشيرته امبراطورية فى أوج مجدها وعزها .

العراق ـ محمود منصور البرشومى



تحية البطل

للشاعر: ابراهيم محمد نجا

القيت في مأدبة الغداء التي اقيمت للسيد الرئيس عبدالسلام محمد عارف احتفالا بزيارته الميمونة لمدينة كركوك في شمال العراق .

الا مرحبا يا زعيم البلاد   واهلا بطلعتك الهاديه
اتيت الينا ، فجاء الربيع   وجاءت مواكبه الزاهيه
فازهاره بسمة في السهول   وترنيمة في الربا الحالية
وانت ربيع المنى والقلوب   تظل بايامه شاديه
وانت الرجاء الذى تلتقى   على نبعه الأنفس الصاديه
وانت الضياء الذى بددت   اشعته الظلمة الطاغيه
وعهدك اشراق فجر جديد   نسينا به الليلة القاسيه
ومجدك نور لمجد عظيم   بنته حضارتنا الماضيه
طواه الزمان ، فلما اتيت   أتيت به مرة ثانيه

***

فيا رائد الخير في امة   ترى فيك آمالها الصافيه
تصونك بالروح من كل شر   وتفديك بالمهجة الغاليه
ويا قائد الشعب نحو العلا   ليبلغ قمتها العاليه
لقد ثرت أكثر من ثورة   فادركت أهدافك الساميه
وكنت أخا ناصر يوم ثرت   على الظلم ٠٠ والظلمة العاتيه
هدمت الضلال واهل الضلال   بضربتك الحرة القاضيه
وشيدت صرح الهدى باذخا   فاعجزت كل يد بانيه
ومرت على جرح شعب العراق   بلسمها يدك الآسيه
فكانت سلاما ، وكانت نعيما   يفيضان من نفسك الحانيه
هنيئا لك الحب من كل قلب   ومتعك الله بالعافيه
وأبقاك حصنا لايامنا   تبدد عنها القوى الباغيه
وتسعى الى وحدة حرة   تكون لنا درعنا الواقيه
يعود بها مجدنا المرتجى   وتبقى لامتنا الباقيه
وهذى التحية ٠٠ من شاعر   رعى النيل آماله النامية
يرى ناصرا اذ يرى عارفا   وفي مصر بغداده باديه

العراق   ابراهيم محمد نجا

طبيعة الأدب النسوى المعاصر

بقلم مصطفى عبد اللطيف السحرتى

– ١ –

يتلون الأدب النسوى المعاصر بطبيعة المرأة ، ومزاجها وميولها ، وبالفترة الحضارية التى تعيش فيها .

فهو أدب يمثل فى أغلبه ، قوقان المرأة القلق فى هذا الجيل عن أختها فى الجيل الماضى قوقانا ملحوظا . كما يمثل نشاط عقلها الباطن ، وسمته وقوته . ويكشف عن اتجاهها الملح الدائب فى سبيل الوصول الى حريتها العاطفية تجاه طغيان الرجل ، وحريتها الاجتماعية تجاه تقاليد البيئة السيئة الموروثة من جيل لجيل . بل ثورتها وتمردها على هذه التقاليد .

وقلب ان شئت حصادنا النسوى القصصى أو الشعرى فتجد فيه الروح الثائرة على التقاليد وضغط البيئة ، وتحكم الرجل ، وسعى المرأة الدائب فى سبيل حريتها العاطفية ، وتحقيق ذاتها .

ففى رواية « الباب المفتوح » للطيفة الزيات ، نجد هذه الثورة على لسان شخوص الرواية ، تقول عديلة : « والله احنا مصيبتنا سوده ، على الأقل أمهاتنا كانوا فاهمين وضعهم ، أما احنا ضايعين لا احنا فاهمين اذا كنا حريم والا مش حريم ، ان كان الحب حرام والا حلال . أهلنا يقولوا حرام ، وراديو الحكومة طول الليل والنهار يغنى للحب ، والكتب تقول للبنت روحى انت حرة ، وان صدقت البنت تبقى مصيبة ، تبقى سمعتها زفت وهباب . بالذمة دا وضع . بالذمة احنا مش غلابة ! » .

وعلى مثل هذه الأقوال سارت هذه الكاتبة وغيرها فى مناقشة الوضع العاطفى التى تعيش فيه المرأة ، مركزة كل اهتمامها على هذا الوضع ، ظانة أنها اذا تحررت عواطفها ، نالت حرياتها الأخرى . وأغلب القصص النسوية تدور فى هذا المجال العاطفى .

فرواية « منزل الطالبات » لفوزية مهران ، تدور حول فكرة حرية الفتاة فى الحب وعيشتها لا خوف فيها ولا زيف ، وحقها فى أن تجمع بين الحب والعمل ، وتحقيق وجودها كانسانة .

ويبلور الحوار التالى بين آمال بطلة القصة وأحمد عزمى اتجاهها حيث يجرى كالآتى :

– أحمد : يخيل الى أنك تريدين تجريد المرأة من أنوثتها .

– آمال : الأنوثة ليس معناها الضعف . فجنسها لا يمكن أن يقف عقبة فى طريقها ، وفى تحقيق وجودها .

وكان أحمد يريد منها أن ترتبط به ، وأن تترك دراستها الجامعية ، لأن الفتاة فى رأيه ، اذا أحبت ، نسيت كل شىء عن آمالها وطموحها .

ولكنها أنكرت عليه رأيه .

وفى المجال الشعرى ، نقع فى بعض الاحيان على نظير لهذا التحرر ، يجرى على أقلام الشاعرات ومن أمثلة ذلك قول الشاعرة ملك رضا فى قصيدتها « وسأمضى » :

وسأمضى فى كل مكان
أتحدى قدرى وزمانى
أتحدى الصور المرئية
أتحدى العين البشرية
لن أجرى كالطفل الأعرج
لن أقفز أو أثب كأعرج
لن أرجف كالعود ، كأمسى
لن أعثر فى الدرب كأمسى
لن أعيا بعيون المارة
لن أصغى لحديث جماعه
وأمد على دربى خطوى ....

وهذه اندفاعة من الدفاعات العاطفة تشق بها الطريق الى حريتها التى تعتقد أنها مصفدة بالأغلال .

ومثل هذا الأدب يكشف عن خصيصة من خصائص المرأة ، وهى أن عاطفتها تقودها فى أغلب الأحيان – لقوتها واتساعها وحدتها .

ولا نزعم أنها لا تفكر ، بل ان تفكيرها لا يقل قدرة عن تفكير الرجل ، ولكن عقلها ما يكاد يفكر ، حتى ينداح هذا الفكر الى عقلها الباطن ، فيتلون بما يجرى فيه ، ويتغلب على عقلها الواعى .

فالمعروف أنه لا توجد فواصل قاطعة بين العقلين ، فالرجل يمكنه أن يقف عند المستوى الواعى ، ويكون تفكيره استدلاليا باردا مجردا دون تأثر بعقله الباطن .

ولقد كان لهذا التوحد بين العقلين أثره الفنى فى أدب المرأة ، وبخاصة فى المجالات العاطفية . فتميز أدبها القصصى والشعرى فى الغالب بتوحد الفكر بالشعور ، وتميز بهذه الخصيصة الفنية ، وسلم من الازدواجية التعبيرية التى نجدها كثيرا فى شعر الرجل وبخاصة الرجل الذى اتسم بقسط كبير من الرجولة ، وباستطاعتنا أن نورد كثيرا من الشواهد الدالة على انتفاء هذه الازدواجية فى كثير من شعر المرأة المعاصرة ، ونذكر بدون اختيار لفدوى طوقان هذه الأبيات :

ولقد كنت أنزوي والأسى يطحن نفسي الطموحة المخـذوله
ووراء الجدران تصخب دنيا الانطلاقات والحيـاة الجميله
الحياة التي بملء اندفاعات خطاها تسـير لشوق عتيه
لا تبـالي بنا ، تسير ولا تثني خطاها مأساتنـا الفرديه
وتعلمت كيف تختلط الثـورة والبغض في دم المظلوم
وباعمـاقي التربص يخبـئه عدولي في صمته المسموم
ارقب اللحظة التي كم تطلعت اليها في شـوقي المكبوح
لحظة العتق والفرار الى آفاق حريتي ، ودنيـا طموحي
كان لي الحب مهربا أحتمي فيـه ، اليه افر من مأساتي
كان دنيـا في افقها الرحب أسترجع حريتي أحقق ذاتي
يا لقلبي الموتور كم راحته ، نشوة الانتقام من جـلادي
وانا في مشاعر الحب غرقى وهو خلف الابواب بالمرصـاد
أيوسع السجون خنق الأحاسيس وقتل الحياة في الأعماق
من يصد الشـلال عن سيره الكاسح عن اندفاعه الدفاق
وانطلقت أودع شعري خلجاتي الحرى ونبض شـعوري
واغنى الحياة أشواق روحي من وراء الأغلال من تحت نيري
اتحدى السجان ، اسخر بالعرف ، بما شادت التقاليد حولي
من جـدار ضـخم مضت أغنياتي تتخطاه في تحد مثلي
كم فتـاة رأت شعري انتفاضات رؤاها الحبيسة المكتومه
كان شـعري مرآة كل فتاة ، وأد الظلم روحها المحرومه

فما يدور في نفسها المكبولة الحبيسة من الم واسى وظلم ، سجلته ، وما يدور في الدنيا الجميلة من أفراح وانطـلاقات ، ذكرته ، ثم تحولت نفسها في اللحظة ذاتها ، تتحدى السـجن والسجان بحبها واغنياتها التي تخطت الجدران ، فكرات ،ومشاعر متوحدة ، وانفعالات متعاكسة جرت في نفسها ، وعبرت عنها جميعا تعبيرا مترابطا ، لا تطغى الفكرة فيه ، ولا تستبد المشاعر ، بل تسير في تلاحم ، وترابط ، وانسجام .

واظهر ما يكون هذا الترابط بين العقلين ، تجده في قصيدة « مات حبا » لجليلة رضا ، حيث تسير الأفكار والمشـاعر ، في تآلف كامواج النهر شبت عليها شعاعات القمر ، ومما جاء في هذه القصيدة قولها :

اصبحت بخفة عصفور
حبى الماضي امس فشـره
نزعت وصحت بها ربقى
وشيت اهـدهد احلامي
وتلفت الأرض بقـوة
وتدفق فجـر الهـتاني
والنهيـة ارخت جلنيها
ووسـادة احلامي ايقـت
ورجـعت لنـار المدفاة
والقطة لعقت اقـدامي
وسمعت احاديث الجـاره
ونسـيت كآبات الأمس
ووهبت الأحياء سروري
ورجعت لنفسي ولـذاتي
شيء في قلبي يطعنني
الجرح يعـود فيؤلمني

اصبحت الغي مع النور
الثـرة فاكهـة مصـفره
ورميت بها عبر طـريقي
وادوس الحب باقـدامي
والتفت من جوف الهوه
وتغنى الطير بالمـاني
وابتسمت تمسح خديهـا
ودموع السهد بهـا جلت
للبيت لعرشي مملكتي
والكلب تمـدد قـدامي
وخلاف الصبية في الحاره
والتفت المراقة راسي
وضحكت بقلبي وشعوري
وحياتي رجعت غيـالي
شيء كالنار وكالسيف
الزاء الحب ؟ ايا خوفي

فترون في هذه القصيدة العجيبة اندماج الفكر بالشعور ، وتقلب الشعور من فرحة بهجر الحب ، الى خوف من عودته ، دون مراعاة لمنطق القصيدة العقل ، بل لجولان الشعور ، وتغيره ، وهذا برهان قائم على تلبية المرأة ، لما يجري في العقل الباطن ، دون تلبية منطق العقل ، وهذا من انتصارات المرأة في شعرها .

- ٢ -

وتظهر تغلغلة المرأة في عقلها الباطن ، أو في ميدانهـا الذي تميزت به في قصصها وشعرها ، ولوالاها باستخدام تيار الشعور او المولولوج الداخل في القصص ، وبالمشاهدة الباطنة والتغلغل فيما يجري بالعقل الباطن ، وسرائره ، والتفاضاله في الشعر .

ولا أستطيع في هذا المقام ان آتي بنماذج من جولات القاصة في العقل الباطن ، التي برعت فيه ، واكتفي بان أحيلكم الى ما جاء في رواية « الباب المفتوح » من لوامع في هذه الناحية ، بل الى قصص الكاتبة الكبيرة فرجينا وولف ، قصيرة أو طويلة .. فقد كانت الرائدة النسوية الأولى في هذا المجال .

اما في الميدان الشعري فقد كانت الشاعرة العراقية « **نازك الملائكة** » اول من حبت الى التعمق في العقل الباطن ، وأسراره ، وملتوياته ، ومعقداته ، فكانت رائدة في هذا المجال ، رائدة في تعمق الواقع النفسي ، وفي ديوانها « شظايا ورماد » و « قرارة الموجة » نماذج كثيرة ، والسابت شاعرات أخر في هذا الميدان بعدها ، ولكنهن لذن بتعبير الغموض ، الذي لا يدع للعقل فرجة للاجتلاء ولا للقلب مدى للانسراح ، لأنهن وقفن عند نطاق خوالج العقل الباطن ، ولم يدعن شعاعا ينبثق من العقل الواعي اليه ، ومن بين الشاعرات ، نذكر الشاعرة الفلسطينية « **فدوى طوقان** » في ديوانها « قربان » وباستطاعتنا ان نذكر كثيرا من قصـائد « نازك » في هـذا المجال ، ولكنا نكتفي بقصـيدتين لها هما : « افعوان » و « ذكريات » ففي افعوان تتحدث عن الذات الفطرية وما تنطوي عليه من شهوة وعرامة تقول في استهلالها :

أين أمشي مللت الدروب
وسئمت المروج
والعدو الخفي اللجوج
لم يزل يقتفي خطوتي فأين الهروب ؟
وتنتهي بقولها :
وتمر تمر الحياة
وعدوي الخفي العنيد
خلف كل طريق جديد
في ليالي الأسى الحالكات
خلف كل سحر
وراء يطل علي مع المنتظر
مع أمسي البعيد
مع ضوء القمر
في الفضاء المديد
أين أين المفر ؟
من عدوي العنيد
وهو مثل القدر
سرمدي خفي أبيه
سرمدي أبيد ..

وفي قصيدتها ذكريات تقول :

كان قلبي متعبا يسكنه حزن قطيع
رقصت فيه وشدته الى الجرح دموع
صور في غمره تصنع مرآة النجيع
كان ، لكن يدا مرت عليه
حملت تحاياها اليه
باركت آلامه السوداء ، كانت يد طفل
اى طفل ، لم يكن في الليل غيري ، غير ظل

وهكذا سارت نازك في هذه القصيدة التي تروي فيها ما يموج في العقل الباطن ، من حزن وتوه ، وضوء ، وتذكار لا يحد ويد طفل تبارك آلامها السوداء ، واى طفل ؟ أهو حب وليد ، أهو أمل ، أهو شوق الى الأمومة ؟ كل هذا ممكن ان تفسر به يد الطفل . وهو يفسر لنا في الوقت ذاته طبيعة المرأة ذات العقل الباطن الخصب ، الزاخر بالأوهام ، والوساوس والأشواق والأحلام .

ونقع على شاعرة عربية ، بعيدة الغلغلة ، تكاد لا تفهم ، لما في شعرها من ملتويات ، ومعقدات لمسايرتها لما يجري في عقلها الباطن ، ولنسمع الى لوريا ملحس ، في قصيدة « العناق » حيث تقول :

عبق غـــــريب
في جوي يدور
ما الذي يخترق صدري
ما هذا الشـــــعور
أخشـــاه ؟
مدي يديك
الى

وبمثل هـــــذه الانتفاضات الروحية تعبرنا لوريا ملحس ، فلا ندري ما يدور في عالمها الشجي ، لا نجد شيئا يدركه العقل ، وانما هي تريد اقلاقنا برحلتها الغاطسة في اللاشعور ، وكأنما من دأبها الاقلاق كما يقول أندريه جيد « الاقلاق ديدني ! »

- ٣ -

وهذا الولوغ في الواقع النفسي ، الذي تميزت به المرأة ، والسيطرة التي تكابدها في المجتمع ، بل القهر والاذلال ، أضفى عليها وشكل طابعها بأشكال ثلاثة ، فطابع نسوي استسلم لضغط البيئة وتقاليدها ، وقبل سيطرة الرجل ، ورضي بالذلة والدونية وترك للرجل أن يفعل كل شيء ، دون الشعور بأية مسئولية ، وطابع جمع الى التلاؤم مع البيئة الاحتفاظ بآماله وتطلعاته فجمع الى الحب العمل والوصول الى تأمين وضعه .

وطابع ثالث ، ثأر كل الثأر باضطهاد البيئة ، فلم يعبأ بالرجل ، بل عده عدوا له ، وهذا هو الطابع الذكوري . وأغلب نساء هذا الطابع مع العصابيات قد يتزوجن ، ولكنهن لا يستسلمن لأزواجهن وموقفهن راجع الى مخاوف لاشعورية من قوة الرجل ، وحبه للسيطرة .

وقد طبع الأدب النسوي بهذه الطوابع وجرى تصويرها في أدبهن ، جرى تصوير طابع المستسلمات ، من جداتنا في كثير من القصص العربي المعاصر ، كما نجد في بعض قصص بنت الشاطيء ، وتلون أدب أخريات بالطابع الثاني كما رأينا في رواية « فوزية مهران » ، أما طابع المرأة الذكورية او المسترجلة، فقد قرأناه في « اعترافات امرأة مسترجلة » لسعاد زهير .

وقد عبرت عن هذا الطابع في جرأة وصراحة منقطعة النظير ، فهاهي ذي تقول ص ٣٥ « انهم جميعا رجال ، هؤلاء الذين قاسيت منهم حتى اليوم ، أخي وأبي ، وذلك الرجل الذي هم بافتراسي في غيبة زوجته ، وتقول :

« ابدا - ابدا ، لن أسمح لرجل باستعبادي
سأعيش ذاتي ، وأصنع حياتي بارادتي ،
وأكون سيدة نفسي الى الأبد »

وتقول في اعترافاتها انها مع هذا تزوجت ، ولكنها لم تشعر بلذة في القران ، وانتهى زواجها بالطلاق .

فالمرأة في حياتها تلعب دور الرجل الحزين ، وقد انسابت أوتار الحزن والألم في قصصها وفي شعورها . تقول نازك الملائكة : وكم ذا وقفنا في شعر الشاعرات على شدو كئيب حزين ، وهذا الحزن ليس راجعا الى ضعف المرأة ، بل راجع الى طبيعتها النزاعة الى حب الذات ، والى الاخلاد للألم والى التضحية ، فضلا عما تكابد من مجتمع الرجال القاسي الذي تعتقد سموه عليها .

- ٤ -

وقد تيقظت المـــرأة المصرية الى وضعها الاجتماعي السيء ، فهبت تدافع عن حريتها ، وبخاصة حريتها العاطفية ، وما فرضته قوانين الرجال ، وتقاليدهم عليها ، واستلت قلمها لتبرز كفايتها العقلية ، بما دبجت بعضهن من بحوث أدبية قيمة ، كما فعلت الدكتورة سهير القلماوي أو نعمات فؤاد ، أو تحقيقات لغوية مثلما فعلت بنت الشاطيء أو أعمال أدبية خلاقة قصصية وشعرية ، وهذه الأعمال الخلاقة اتجهت أكثرها الى عالم المرأة ، والى وجوب تحررها وتحقيق ذاتها ، وبث روحها ، وبعض هذه الاعمـــال ساير طبيعة المرأة ، في حبها للمثل العليا ، والخلق الرفيع كما نلمس ذلك في قصص وداد سكاكيني السورية ، وبعضها تنكب الطريق واندفع في نشدان الحرية ، والطموح الزائف ، بدون نظر للفترة الحضارية التي نعيش فيها ، فجرت على أقلامهن هواجس منحرفة لاتمت الى طبيعة المرأة السوية بسبب ، فمن هؤلاء نذكر ليلى بعلبكي في قصصها وهي تجري في محور واحد هو العطاء الجنسي ، للانتقام من الرجل ، وأنها اذا أعطت وأكثرت من العطاء ، فهي اذن تحب ، وليس العطاء من طبيعة المرأة السوية وليست الحرية في هذا التبذل . فالمرأة من طبيعتها الحياء ، والتمنع ، وسارت على هذا المنوال القاصة السورية كوليت خوري التي تريد كما تقول : رجلا يحتضنني برجولته وبأسه وحبه ، رجلا أستقر بين ذراعيه ليمزق شفاهي ويكسر ضلوعي . وتجري صوفي عبد الله في هذا التيار مع شيء من الاعتدال فهي تريد بعث الروح ، بعث الجسد الجائع !

ومن هنا نجد ان أدب المرأة في هذه الفترة ، يساير طبيعتها ووضعها الجديد لدى بعض الكاتبات ، كما انه يتنكب الطريق السوي في أدب أخريات .

مصطفى عبد اللطيف السحرتي

قصيدتان

للشاعر: صالح جودت

فرحة العيد

أهديه لما أتى فى ليلة العيد … منغم الخطو معسول المواعيد
العطر فى صدره ، والشهد فى فمه … والورد فى خده ، والفل فى الجيد
سألته وهو مستلق على كتفى … ودمعة الشوق تجرى فى الاخاديد
ماذا عليك لو اخترت الرضى وطنا … وما يفيدك من هجرى وتشريدى ؟
أتشرب الراح من دمعى ومن سهرى … وتستخفك أناتى وتنهيدى ؟
فرشت دربك وردا من ربى غزلى … وزنت جوك عطرا من أناشيدى
يا من عشقت فلم أشرك به أبدا … هل صنت عهدى وهل قدرت توحيدى؟
عرضت حريتى ، والقيد يخنقنى … فبعت حريتى ، واخترت تقييدى
وجدد الناس فى اهوائهم . وأنا … أراك أجمل اهوائى وتجديدى
عرفتنى ماجحود الفضل من خلقى … ولا تبدل عهدى من تقاليدى
لولا جمالك ، ماشف الهوى نغمى … ولا تعشقت الدنيا أغاريدى
ملأتها من سلاف الحب شعشعة … فخالها الناس معصور العناقيد
طلعت فى العيد مجلوا على قدرى … كطلعة الغيمة الهمياء فى البيد
فما رأيتك الا البعث فى رمقى … ولا دعوتك الا فرحة العيد

حب جديد

سوف أنسى لهفة الحب الجديد
وامنى النفس بالماضى السعيد
عشت عامين بقلب من حديد
جيوان الروح ، وحشيى الجحود
اكره الرق .. وازرى بالقيود
وارى الحسن بوجدان البليد
وارى فى الحب احلام العبيد

***

ما الذى ايقظنى .. بعد رقودى ؟
ما الذى حركنى ... بعد ركودى ؟
أنت .. من أقبلت كالظن البعيد
لتعيدينى الى الماضى العهيد
أنت من أشعلت مخبوء الوقود
وتبديت لاحيا من جديد
فى جحيم من صلاتى وسجودى
وتراتيل الى الحسن المجحود

***

أمعنى ما شئت فى هذا الصدود
ما الذى افقده ان لم تعودى ...
غير شعرى .. وخيالى .. ووجودى ؟

دموع حسناء

للدكتور: محمد محمود الصياد

حبس الأسى الكلمات فى شفتيك
فأبت عنهـا الدمع من عينيك !
ما اللؤلؤ المنظوم فى أسلاكه
كاللؤلؤ المنثور فى خديك ؟!
لهفى عليه تساقطت حباته
وحجبتهـا عن ناظرى بيديك !
صونى الدموع عزيزة وتكلمى
عقلى وروحى مصغيان اليك ؟
سر على شفتيك غاف حالم
فالى متى يبقى على شفتيك ؟!

***

احسبت ان الدمع يطفىء مابى ؟!
الدمع يضرم لوعتى وعذابى !
كالنور فى لألائه لكنه
كالنار فى قلبى وفى اعصابى
رفقا بمسبلة الشئون ورحمة
بجفونهـا ، وبوجنة العتاب .
صور من الماضى الجميل تجمعت
لهداية المتشكك المرتاب !
فترقرقت فى العين ثم تحدرت
فى الخد دمع ندامة ومتاب !

أدركت ذنبك فانفجرت بكاء !
وسخوت بالدمع العصى سخاء .
فاذا بقلبى مشفق بك راحم
وكأنه لم يلق منك شقاء !
هذى يمينك فى يدى ، وكأنما
قد مد لى موسى اليد البيضاء .
وهممت ألثمها ، فاذ همت بها
شفتاى ، ذبت تعففا وحياء .
خير لحبى أن يعش على ظما
من أن يدنس فى يديك الماء !

***

فاضت دموعك فى أسى وخشوع .
وابيت الا أن أصون دموعى .
أظهرت غاية مايطيق تجلدى
ورفضت بين يديك أى خضوع !
حتى رجعت لهيكل متعثرا
ياليت انك قد شهدت رجوعى .
وجلست والذكرى الأسيفة والجوى
ابكى بعين الثاكل المفجوع
ينبوع آمالى شهدت نضوبه
فبكيت من جزع على الينبوع !

الفلسفة الإسلامية في جامعات أوروبا

للدكتور: محمد مختار القاضي

- ٢ -

في حديث سبق تكلمت عن مدرسة المترجمين الطليطليين في الاندلس وكيف اسهمت هذه المدرسة في نقل العلوم الاسلامية من اللغة العربية الى اللغة اللاتينية في العصور الوسطى ، وذكرت ترجمة قصيرة لبعض من مترجمي هذه المدرسة وما قاموا به من تراجم لكتب العلماء المسلمين في الاندلس ، اما الآن فسأقوم بتوضيح الأثر الذي تركته هذه التراجم في جامعات اوربا باسرها .

وقبل ان ابين هذا الأثر احب ان اقدم بين يدي القراء ان جامعات اوروبا في العصر الوسيط كانت تحت سلطان الكنيسة ، يديرها جماعة من رجال الكهنوت على اختلاف درجاتهم الكنسية ، وكان اللاهوت هو العلم المسيطر في هذه الجامعات ، فقد كانت جامعات ناشئة لا تعنى بشيء كعنايتها بالامور العقيدية والالهيات ، ولذلك فان دور الفلسفة فيها كان دورا اساسيا ودخول الفلسفة الاسلامية في تلك الجامعات الدينية لم يكن امرا هين القبول ، هذا امر كان ينبغي ان يكون مقررا ، ولكن الأمر الذي نستطيع تأكيده ايضا هو انه لم ينقض قرن على الترجمات التي صدرت من طليطلة لفلاسفة العرب حتى كان الرأي قد استقر عند الافرنج على اختيار فلسفة ابن سينا ممثلة للفلسفة الاسلامية ، فقد عرفها الافرنج عن طريق المسلمين قبل ان يعرفوا ميتافيزيقا ارسطو من مصادرها اليونانية بنصف قرن . وقد بين الاستاذ جيلسون في كتاب الفه بين سنتي ١٩٢٦ - ١٩٣٣ عنوانه مترجما (سجل لتاريخ ومذاهب وآداب العصر الوسيط) . بين ان الفلسفة في القرن الثالث عشر كانت عبارة عن مشتقات من ثلاثة فلاسفة : ارسطو وابن سينا وابن رشد وان مذهب القديس اوغسطين لم يكن سوى اختيار بين آراء هؤلاء الثلاثة ، كما اثبت الأب دي فو في كتاب الفه سنة ١٩٣٤ تحت عنوان (السينية اللاتينية) (١) اثبت ان كثيرين من رجال اللاهوت المسيحيين اتخذوا فلسفة ابن سينا مصدرا لالهامهم ، بل ان هنالك مفكرين منهم صرحوا بآراء سينوية مخالفة للعقيدة المسيحية ، وهم الذين يسميهم الأب دي فو «السينيون اللاتين» . وسبب هذه الحظوة في رأيه ان فلسفة ابن سينا كانت مكتملة واكثر تفصيلا من فلسفة ارسطو الأولى ، فقد سكت ارسطو عن الكلام في اصل الكون ، وتكلم كلاما موجزا عن الله ، فلما جاء ابن سينا ، ويعتبر للمبدأ له تجديدا ، افاض في الكلام عن الله والملائكة والخلق والخير والعناية وحاول التوفيق بين العقل والايمان ، وهو امر يتفق ولا شك مع الآراء المسيحية التي تتفق مع الاسلام في جملة من هذه المسائل . واذا كان ابن سينا يرى قدم العالم وان علة الخلق هي الصدور مما لا يتفق مع العقيدة المسيحية ، فمما لا شك فيه انه سد ثغرة عند ارسطو .

على ان ابن سينا لم يسلم من الحاقدين عليه من امثال جيوم الافروني (جيوم ديفروني) وهو فرنسي توفي سنة ١٢٤٩ ، اوغسطيني المذهب ، وكان ، كمعظم معاصريه ، يعتقد ان الفلسفة الاسلامية ارسطوطالية خالصة ، لا تجديد فيها ، ولذلك يذكر وهو في صدد نقده لأرسطو ، يذكر الفارابي والغزالي وابن سينا على انهم من اتباعه ، وينقد ارسطو واتباعه حين قالوا بحرية الارادة التي هي اساس المسيحية كما يقول . ومع ذلك يقتبس آراءه في الماهية والوجود وادراك النفس لذاتها .

---

(١) يقصد بالسينية مذهب ابن سينا ويقصد باللاتينية صلة هذا المذهب المباشرة بفلسفة اليونان الأولى بعيدا عن النزعة المسيحية .

ومعن تأثر بفلسفة ابن سينا الاسكندر الهاليسي (الكسندر أوف هاليس) وهو انجليزى عاش بين سنتى ١١٧٥ و ١٢٤٥ وكان استاذا بجامعة باريس ، يمتدح ابن سينا مرة وينتقده مرة ومع ذلك فهو لا يفارق ابن سينا فيما يكتب فى لاهوته .

ومعن تأثر بفلسفة ابن سينا القديس انسلم (١٠٣٣-١١٠٩) وابكارد (١٢٦٠ - ١٣٢٧) فى تعليقه على كتاب الحكمة . والقديس توما الاكوينى (١٢٢٥ - ١٢٧٤) وقد اقتبس من ابن سينا تمييزه بين الماهية والوجود وغيرهما . وروجير بيكون (١٢١٤ - ١٢٩٤) وهو انجليزى تنقل بين جامعتى اكسفورد وباريس . وكان اكبر معاصريه معرفة بابن سينا ومصنفاته ، وكان يقول عنه انه اول اسم كبير بعد ارسطو واهم شراحه وزعيم الفلسفة ، بل هو ثانى فيلسوف بعد ارسطو . وان كل ما عرف فى ارائه من تناقض يجب ان ينسب الى المترجمين فان فيلسوفا مثله لا يمكن ان يقع فى اى تناقض .

هذا عن ابن سينا ، وان فلسفته وجدت طريقها الى جامعات اوروبا ممهدا ، فهو شارح لارسطو لابد ان يقرأ . ولم ينظر اللاهوتيون المسيحيون اليه من زاوية اخرى كالتى نظروا منها الى ابن رشد .

فاذا انتقلنا الى ابن رشد ، وهو اندلسى لا مشرقى كابن سينا ، وجدناه يلقى عنتا كبيرا فى طريق السيادة الفلسفية فى جامعات اوربا . فلقد كان مقامه بالاندلس سببا فى الاحتكاك بطائفة الرهبان الدومينيكان ، وكان لهؤلاء فرع بالاندلس ، يناهض العرب ويتعصب عليهم ، فلما ترجمت مؤلفاته وبدأت تغزو جامعات اوربا انبرى هؤلاء الاخوان الدومينيكان لمناهضة هذه الفلسفة ، الامر الذى قسم اساتذة هذه الجامعات فريقين ، احدهما يتعصب لابن رشد والآخر يتعصب ضده .

لقد نقلت مؤلفات ابن رشد الى العبرية واللاتينية ابان القرنين الثالث عشر والرابع عشر ، نقلها يعقوب الأنتول من نابلى سنة ١٢٣٢ ويهودا ابن سليمان كوهن من طليطلة سنة١٢٤٧وشموئيل ابن تبون وشم طب ابن يوسف الفلرى وشرح هذه المؤلفات ليون ابن جرشون . ثم اصلحت الترجمة اللاتينية فى القرن الخامس عشر على يد نيفوس وزيمارا وترجمت ترجمة جديدة على يد يعقوب منتينو الطرطوشى وابراهام دى بالمز وجيوفانى فرنسسكو بوراتا من فيرونا . ولقد وصلت مؤلفات ابن رشد مترجمة الى العالم الغربى عن طريق جامعة نابلى التى انشأها فردريك الثانى ملك صقلية وامبراطور المانيا سنة ١٢٢٤ عقب عودته من الحروب الصليبية وجعل منها مركزا للاشعاع الاسلامى فى اوربا . ولهذا الغرض ارسل ميشيل سكوت الى طليطلة فترجم شروح ابن رشد، وكانت جامعة بولونيا وجامعة بادوا مركزا للفلسفة الرشدية ومنهما انتشر الاشعاع الرشدى فى شمال شرقى ايطاليا ، فى البندقية وفرارا . وساد التفسير الأعظم سيادة مطلقة فى جامعة بادوا ، وظل جيتانو دى تينا فى القرن الخامس عشر علما من اعلام الرشدية حتى ان دروسه تلقى الى اليوم .

لقد مرت هذه التراجم فى اول امرها بجامعات ايطاليا دون ان تحدث هذه الضجة الكبرى التى احدثتها فى جامعة باريس، وسبب ذلك حزم فردريك الثانى ساعة وصلت هذه التراجم الى ايطاليا، ولان جامعة نابلى التى انشأها فردريك انما انشئت خصيصا لدراسة العلوم الاسلامية الجديدة . اما جامعة باريس فلم تهيأ لها هذه الظروف فى اول امرها ، فما ان تسامع اساقفة باريس بوصول شروح ابن رشد على مؤلفات ارسطو حتى اجتمع مجلس كنسى فى باريس سنة ١٢١٠ واستنكر كتب ارسطو وشروحها فى الفلسفة والطبيعة . وفى سنة ١٢١٥ وضع نائب البابا لائحة للجامعة تنص على الاستمرار فى تدريس منطق ارسطو وكتاب الاخلاق . ولكنها حرمت تدريس كتب الطبيعة وشروحها وكتاب ما بعد الطبيعة وشروحه (وهى لابن رشد) .

وفى سنة ١٢٢٩انشئت جامعة تولوز برعاية نائب الباباواعلنت عزمها على تدريس الكتب المحرمة ثم نفذت هذا العزم فابيح تدريس هذه الكتب ، وكانت هذه فاتحة انتشار الرشدية فى فرنسا .

وفى ذلك يقول الاستاذ الفرنسى جوستاف لوبون (١) . فكان ابن رشد الحجة البالغة للفلسفة فى جامعاتنا منذ اوائل القرن الثالث عشر من الميلاد . ولما حاول لويس الحادى عشر تنظيم امور التعليم سنة ١٤٧٣ امر بتدريس مذهب هذا الفيلسوف العربى ومذهب ارسطو . .

اما فى انجلترة فقد ظلت الفلسفة الرشدية متسلطة على جامعاتها الى ما بعد القرن الرابع عشر الميلادى .

(يتبع) د. محمد مختار القاضى .

مصر في موكب العروبة

للدكتور أحمد الحوفي

- ٢ -

في رد المغيرين على الوطن العربي

وقفت مصر وقفات باسلة في طريق المغيرين على الوطن العربي، فردتهم حينا، وعجزت عن ردهم حينا ٠

١ ـ فكانت الدرع الواقية للعرب منذ تسعة قرون، حينما شن الصليبيون على المسلمين حروبا باغية في نحو قرنين من الزمن ٤٨٩ ـ ٦٧٠ هـ (١٠٩٦ ـ ١٢٧٢ م) ٠ وكان غرضها الظاهر انتزاع بيت المقدس من المسلمين، بدعوى ان السلاجقة يضيقون على الحجاج المسيحيين، ويثقلونهم بالضرائب، ويهينون النصارى الذين في حكمهم، وهي دعاوى باطلة كذبها مؤرخوهم المنصفون٠

اما بواعثها الحقيقية واغراضها الخفية فهي رغبة البابا في ان يبسط نفوذه على ملوك اوروبا وامرائها اذا ما استجابوا لدعوته واشتركوا في الحرب، وطمع امراء الغرب في انشاء امارات لهم بالشرق، وتطلعهم الى جمع الثروة، ورغبة المدن التجارية الايطالية في ان تكون لها مراكز تجارية مسيحية في الشام ومصر تتخذها منافذ الى خيرات الشرق والى احتكار اسواقه ٠

فماذا فعلت مصر لتقاوم هؤلاء الغزاة، وتصدهم عن المنطقة كلها ؟

لقد نهض صلاح الدين لمحاربتهم من سنة ٥٨٣ الى ٥٨٨ هـ (١١٨٧ ـ ١١٩٢ م) بجيوش من مصر والشام، فهزمهم في موقعة فاصلة بجهة حطين سنة ٥٨٣ هـ هزيمة ماحقة لم يجربوا مثلها منذ وفدوا الى الشام، ثم استرد منهم عسقلان وكثيرا من المدن والحصون، واتجه الى بيت المقدس ليسترده، واستطاع ان يتغلب على تحصينه المنيع، فعرض الصليبيون عليه الصلح وتسليم المدينة، فقبل على ان يخرجوا منها باموالهم واولادهم ومتاعهم نظير عشرة دنانير عن كل رجل، وخمسة عن كل امراة واثنين عن كل طفل، واعفى العجزة والشيوخ والفقراء، ولم يعاملهم بمثل ما عاملوا به المسلمين من وحشية حينما فتحوا تلك المدينة ٠

وحينئذ لم يبق بايديهم سوى صور وقلعة بلفرت ـ بين دمشق والساحل، وهي التي تسمى في الكتب العربية شقيف ارنون ـ وصار المسلمون بعد معاهدة الرملة التي عقدها صلاح الدين مع ريتشارد قلب الاسد سنة ١١٩٢ م يمتلكون جميع المدن ما عدا الساحل الضيق الممتد بين صور ويافا، بعد ان كانوا قبل موقعة حطين لا يملكون شيئا من الارض غربي نهر الاردن ٠
وبهذا وحد صلاح الدين الجبهة العربية ما بين صحراء لوبية غربا وجبال الكردستان شرقا ٠

ثم تجمع الصليبيون في الحملة الخامسة سنة ٦١٤ هـ (١٢١٨ م) وهجموا على مصر، لانهم ايقنوا انها مركز المقاومة وحصن الدفاع عن الوطن العربي، فقصدوا دمياط، واحتلوها بعد قتال عنيف، وشرعوا يزحفون نحو القاهرة، فسارع السلطان الكامل الى لقائهم، وانتصر عليهم سنة ٦١٨ هـ (١١٣٣ م) ٠ فاضطروه على الجلاء المنجز، وعلى الا يعودوا ٠

ولكنهم حنثوا بعهدهم، فعادوا سنة ٦٤٧ هـ في اخر عهد الملك الصالح نجم الدين ايوب بقيادة ملك فرنسا لويس التاسع، ونزلوا بدمياط، فنهض نجم الدين للقائهم، ورابط بالمنصورة، ولكن المنية عاجلته في تلك الازمة الحرجة، فاحسنت الحيلة زوجته شجرة الدر، اذ اخفت خبر موته، وبعثت الى ابنه توران شاه تستدعيه من حصن كيفا على شاطئ دجلة، وجمعت قواد الجيش

وارباب الدولة . واصدرت اليهم الامر بما يشبه توقيع الملك ، وزعمت انه يامرهم بمبايعة ابنه توران شاه . فبايعوه .

ولما اتجه الصليبيون الى المنصورة سنة ٦٤٨ هـ (١٢٥٠ م وكادوا يستولون عليها ، جاء توران شاه ، فقاتلهم ، وانتصر عليهم عند فارسكور ، واسر لويس التاسع ، وسجنه فى دار ابن لقمان بالمنصورة ، ثم قبل منه الفداء نفسه وبقية اهله وعسكره بعشرة ملايين فرنك . ولكنه بعد اطلاقه اتجه الى عكا ، وبقى بها الى سنة ١٢٥٤ وحاول ان يقوم باعمال تجبر بعض ما تثلم من كرامته ، فطلب المساعدة من غربى اوروبا . فلم يستجب له احد ، فعاد الى فرنسا .

على ان بقايا الصليبيين مازالت بالشام تهدد الوطن العربى بوسائل شتى ، منها اثارة المسيحيين بغربى اوروبا على المسلمين ، واشعال الفتن فى الوطن العربى ، والتحالف مع المغول على العرب . فلم يكن بد من تعقبهم واستئصالهم ، وقد نهضت مصر بهذا العبء ، اذ هب الظاهر بيبرس لحربهم سنة ١٢٦٥ م فاستولى على كثير من مدنهم ومعاقلهم وحصونهم ، وكلل جهاده باسترداد انطاكية سنة ١٢٦٨ م ، فكان لاستردادها اثر عظيم فى نفوس العرب ، لانها مركز امارة صليبية كبيرة ، ولان استردادها زاد العرب ايمانا بقوتهم وحماسة فى جهادهم لطرد الدخلاء .

ثم حذا السلطان قلاوون حذوه ، فلم يبق للصليبيين فى الوطن العربى سنة ١٢٨٩ م الا صور وبيروت وعكا .

فلما خلفه ابنه الاشرف خليل استرد عكا سنة ٦٩٢ هـ (١٢٩١ م) وصور وحيفا وبيروت ، فشفى العرب من الداء الذى عانوه نحو مائتى عام .

على ان الصليبيين ارتحلوا الى جزيرة ارواد ـ بالقرب من الشام ـ وتحصنوا بها ، واخذوا يغيرون على مدن الشام الساحلية فجهز السلطان الناصر محمد اسطولا بحريا انضم اليه جيش طرابلس ، وحاصر الجزيرة واستولى عليها سنة ٧٠٢ هـ (١٣٠٢ م) .

٢ ـ كذلك حمت مصر الوطن العربى حينما ابتلى بعدو اخر غاشم ، هم المغول الذين اتجهوا الى العراق ، ولم يكن بد من الاتحاد لصدهم ، فسارع الخليفة العباسى المستعصم بدعوة الناصر يوسف الأيوبى صاحب دمشق الى الصلح مع المعز ايبك سلطان المماليك بمصر ، ليتحدا على محاربة التتار .

وفى ذلك الوقت تبين تاثير العروبة الغلاب فنسى المتخاصمون ما بينهم من خلاف ، وايقنوا انه لا نجاة لهم الا بالوحدة التى تنقذ الوطن العربى من نكبة التتار .

هجم هولاكو على العراق فاكتسحه ، واستولى على بغداد سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) وخربها ، وقتل الخليفة المستعصم وكثيرا من بنى العباس . ثم زحفت جيوشه على ديار بكر وعلى حلب ، فارسل الناصر يوسف الأيوبى الى مصر يطلب النجدة ، ويدعو الى وحدة الصف . وكان هولاكو قد ارسل الى قطز سلطان المماليك يامره بالتسليم ، ويحذره عواقب المقاومة . فلم يعبا قطز بوعيده ، وقتل رسله ، وعبا الجيوش ، وخرج الى الصالحية وسرعان ما فوجىء التتار بالجيش المصرى يلقاهم عند طبرية بقيادة السلطان قطز وقائده بيبرس ، وكانت معركة عين جالوت الفاصلة سنة ٦٥٨ هـ (١٢٦٠ م) التى انتصر فيها الجيش المصرى انتصارا مبينا مزق التتار كل ممزق ، وتتبعهم الى بيسان فاثخن فيهم ، وغنم منهم غنائم شتى .

ولولا هذا النصر المبين لانزل التتار بالوطن العربى كوارث تحتاج الافاقة منها الى زمن طويل .

ثم عاودوا الزحف على الشام ، فنهض الظاهر بيبرس لقتالهم وانتصر عليهم فى سنتى ٦٧٠ هـ و ٦٧٥ هـ .

على انهم لم يكفوا عن الهجوم على العراق وعلى الشام ، ولم يتوان الجيش المصرى فى المسارعة الى صدهم . ففى عهد الناصر هجم التتار بقيادة ملكهم محمود غازان على الشام ـ وكانوا قد اعتنقوا الاسلام منذ سنة ٦٨١ هـ ـ فما لبث السلطان الناصر محمد بن قلاوون ان اسرع الى قتالهم سنة ٦٨٨ هـ (١٢٨٩م) ودارت المعركة فى مجمع المروج بين حمص وحماة . وكان عدد التتار خمسة امثال الجيش المصرى ، فانهزم جيش مصر على الرغم من استبساله ، ثم زحف التتار على حمص ودمشق والصالحية . وكانت جرائم التقتيل والتخريب والتدمير تلازمهم اينما حلوا او ارتحلوا ، حتى لقد قال احد شعراء دمشق :

رمتنا صروف الدهر منها بسبعة   فما احد منا من السبع سالم
غلاء وغازان وغزو وغارة   وغدر والقبان وغم ملازم

لكن غازان اضطر الى العودة سنة ٧٠٠ هـ (١٣٠٠ م) الى فارس ، وراى ان يستميل السلطان الناصر اليه ، فارسل اليه وفدا برسالة يلومه فيها لانه هجم على حدود بلاده ، ويهدده بالانتقام منه اذا لم يكف عن عدوانه وعما يعتزم عليه من الاصرار على الحرب ، ويطلب منه ان يرسل اليه الهدايا والتحف ، وختم الرسالة بقوله : « فما بعد الانذار من عاذر ، وان لم تتداركوا الارض فدماء المسلمين واموالهم مطلولة بتدبيرهم ، ومطلوبة عند الله فى طول تقصيرهم » .

فرد عليه الناصر برسالة مطولة ، لم يعبا فيها بوعيده ، وذكره بان الهزيمة فى مجمع المروج كانت وليدة ظروف خاصة بينها فى قوله : « ولم يخف عنهم ما نالته السيوف الاسلامية منهم ، وقد راوا عزم من حضر من عساكرنا التى لو كانت مجتمعة عند اللقاء ما ظهر خبر عنهم ـ يريد جنود التتار ـ فانا كنا فى مفتتح ملكنا ومبدا امرنا حللنا بالشام للنظر فى امور البلاد والعباد ، فلما تحققنا خبركم ، وقفونا اثركم ، بادرنا

لقد اديم الارض سيرا ، واسرعنا لندفع عن المسلمين ضررا وضيرا، ونؤدى من الجهاد السنة والفرض ، ونعمل بقوله تعالى : وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والارض · فاتفق اللقاء بمن حضر من عساكرنا المنصورة ، ولوقا بقوله تعالى : كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة ، والا فاكابركم يعلمون وقائع الجيوش الاسلامية ······ وكم من ملك استظهر عليه لم نصر، وعاوده التأييد فجبر بعد ما كسر » ·

ولم تلبث الحرب ان نشبت بين محمود غازان والناصر ، اذ عبر غازان نهر الفرات ، فخرج الناصر من مصر على راس جيش كبير لملاقاة التتار بالشام ، ودارت المعركة عند مرج الصفر بالقرب من حمص سنة ٧٠٢ هـ (١٣٠٣ م) فانتصر الجيش المصرى انتصارا عظيما ، وقضى على اكثر جيش التتار ، واسر عشرة آلاف جندى ، فتحقق امل الناصر ، وثار من غازان ، فلم تقم له قائمة·

ثم تجدد الخطر فى عهد السلطان الظاهر برقوق ، اذ اجتاح تيمورلنك وسط آسيا ، وزحف بجموعه الجرارة على بغداد ، وحاصر البصرة ، فاعد برقوق جيشا لتخليص بغداد ، وخرج الى الشام ، فبلغ دمشق سنة ٧٩٦ هـ (١٣٩٣ م) وقصد منها الى حلب ، وعبر الفرات ليلقى تيمورلنك على ضفته الشرقية ، فاوقع بجنود التتار ، وغنم منهم ، ولم تكن الموقعة حاسمة ، فرحل تيمورلنك الى بلاده ، وعاد برقوق الى مصر ، وتوفى بعد قليل ·

ولما خلفه ابنه السلطان فرج اغار تيمورلنك على حلب وحمص وبعلبك ودمشق ، فخرج السلطان لمحاربتهم ، والتقى بهم عند دمشق ، فهزم بعضهم ففروا ، ثم عادوا فاحتلوا دمشق وخربوها ونكلوا باهليها ، فاضطر السلطان فرج الى مصالحتهم ، على ان يرحل تيمورلنك من الشام كله رحيلا تاما ، فرحل ، وبعث السلطان نائبا من قبله ليصلح احوال الشام ، ويعيد اليه الامن والسلام والرخاء ·

٣ ــ ثم وفد على الوطن العربى خطر اخر حاولت مصر ان ترده ·

ذلك ان العلاقة بين المماليك والعثمانيين بقيت مدة تترجح بين الحذر والمداراة ، الى ان تكشفت عن العداء السافر فى عهد بايزيد الثانى وقايتباى ، فاغارت جيوش العثمانيين على سورية ، فارسل قايتباى جيشا من مصر حاربهم وانتصر عليهم فى عدة مواقع عند اطنة وقيسارية ، وظفر بكثير من الغنائم والاسرى ، وانتهت هذه الحرب بصلح بين قايتباى وبايزيد ·

ثم لم يلبث العداء ان تجدد ، اذ راجت اشاعة بان السلطان قنصوه الغورى تحالف مع خصم العثمانيين اسماعيل الصفوى شاه فارس ، فاعتبر السلطان سليم ان هذا التحالف معاداة له وخطر عليه ، ورأى ان يتخلص من عدويه منفردين ، فحارب اسماعيل الصفوى وانتصر عليه ، ثم اتجه الى مصر ، فتلقته قوات الغورى فى سورية ، والتحم الجيشان عند مرج دابق بالقرب من حلب سنة ٩٢٢ هـ (١٥١٦ م) وكان النصر للجيش المصرى فى اول المعركة ، ولكن انسحاب نائبى حلب وحماة من جيش الغورى وقوة المدفعية العثمانية ، وقتل الغورى ، كل هذه قلبت الانتصار الى هزيمة ·

وبعد الموقعة زحف الجيش العثمانى حتى بلغ دمشق فى السنة نفسها ، واراد السلطان سليم ان يعقد صلحا مع طومان باى ابن اخى الغورى ونائبه فى حكم مصر ، فبعث اليه كتابا يعده فيه ان يكون نائبا عنه فى حكم مصر الى مدينة غزة ، وان يسك العملة باسمه ، على ان يعترف بسيادة العثمانيين على مصر ، فرفض طومان باى ، وعزم على استئناف الحرب فتقدم السلطان سليم الى مصر ، حتى وصل الى بلبيس ، وعلم طومان باى بوصول الجيش العثمانى الى مشارف القاهرة ، فنهض لقتاله ، وانتصر فى اول المعركة ، ولكن مدافع الاتراك القوية تغلبت على الشجعان القليلى السلاح ، فدخل العثمانيون القاهرة ·

على ان طومان باى لم يستسلم ، وجعل يجاهد حتى لقد دار قتال عنيف فى الشوارع ، وانتصر المصريون عدة مرات ، لكنها لم تثمر الخير المأمول ·

ولقد اراد السلطان سليم ان يتقى المقاومة ، فعرض على طومان باى ان يكف عن الحرب ، ليكون حاكما على الصعيد فى ظل السيادة العثمانية ، فابى ، وواصل المقاومة ، حتى انهزم ، فشنقه سليم على باب زويلة سنة ٩٢٣ هـ (١٥١٧ م) ·

وقد كانت نهاية طومان باى بداية لعهد بغيض ، سيطر فيه العثمانيون على مصر وعلى الوطن العربى ، ونقلوا الخلافة من مصر الى القسطنطينية ·

وبذلك فقدت مصر استقلالها ، ففقدت العروبة ظهيرها ونصيرها نحو اربعة قرون ·

ولو ان طومان باى انتصر لسلمت مصر ، ولحمى الوطن العربى من الاحتلال العثمانى الذى خدر قواه ، واطفأ ضحاه ، ونكبه بانواع الشقاء والضعف والمفاسد التى مهدت للاستعمار الاوروبى فيما بعد ، اذ ضعفت الدولة العثمانية ، واستهانت بها اوروبا ، ونظرت اليها نظرتها الى رجل مريض لا امل فى شفائه، فاقتسمت تركتها واحتلت ولاياتها ، وجزأت الوطن العربى وفق مصالحها واهوائها

« د· احمد الحوفى »



من مظاهر النهضة الثقافية العربية بالجزائر

للدكتور: عبد الحميد سند الجندى

جثم الاستعمار الفرنسى اللئيم على صدور اخواننا الجزائريين قرابة مائة وثلاثين عاما ، حاول خلالها بمختلف وسائل القهر والتصدى أن يبت ما بينهم وبين عروبتهم من وشائج اللغة والثقافة والدين . وقد وقر فى نفوس المستعمرين – بعد أن جعلوا اللغة الفرنسية هى لغة الدواوين الرسمية – انهم قد وصلوا الى بغيتهم ، وأن الجزائريين قد (تفرنسوا) ونسوا ماضيهم العربى الأصيل .

ولكن الفرنسيين كانوا جد واهمين ، فقد كان اخواننا الجزائريون حريصين أشد حرص على مقومات عروبتهم من لغة ودين . وكانوا ينشئون المدارس لتعليم اللغة العربية ، وشرح تعاليم الاسلام ، وتحفيظ جانب من القرآن الكريم ، وهم يعلمون أن من يلتحق بهذه المدارس حظه من وظائف الحكومة ضئيل جدا ، لأن الاستعماريين كانوا يقصون هؤلاء الذين نالوا حظا من الثقافة العربية عن الوظائف الحكومية ، ويؤثرون عليهم هؤلاء الذين نهلوا من مناهل الثقافة الفرنسية . وتلك كانت وسيلة من وسائلهم فى محاربة الثقافة العربية والدين الاسلامى .

ولم يكد الجزائريون يتخلصون من الاستعمار ، ويملكون زمام أنفسهم ، حتى شمروا عن سواعدهم ، وامسكوا بمعاولهم يحطمون تلك الأصار التى ضربت عليهم ، فاخذوا يسيرون سراعا فى سبيل التعريب ، وأصبح للغة العربية فى مدارسهم شأن خطير . كما اخذوا يستوردون الكتب العربية المختلفة الألوان والطعوم من البلدان الشقيقة ويقبلون على قراءتها بنهم شديد . وانطلق شعراؤهم يرددون على آذانهم أصداء العروبة ومقوماتها ، من امثال مفدى زكريا ومحمد العيد آل خليفة ومحمد الأخضر السائحى وغيرهم .

ولم يكتفوا بذلك ، بل نظروا فى ماضيهم العربى المجيد ، واتجهت همتهم الى احياء التراث القديم ، ينشرونه ، غير آلين فى ذلك جهدا ولا مدخرين وسعا .

وقد وقع فى يدى أخيرا كتاب قامت بنشره كلية الآداب بجامعة الجزائر اسمه « **الرحلة المغربية** » تأليف « **محمد العبدرى البلنسى** » أحد رجال القرن السابع الهجرى ، وقد قام بتحقيقه زميلنا العالم الجليل الأستاذ **احمد بن جدو** . وهذا الكتاب يعتبر مثالا بليغا للنشاط المتوفز الذى يقوم به اخواننا علماء الجزائر فى سبيل احياء التراث العربى القديم وازالة ركام النسيان الذى ران عليه أجيالا طوالا .

والمتصفح لهذا الكتاب يدرك الجهد والمعاناة اللذين بذلهما الاستاذ المحقق حتى تم له نشر الكتاب فى صورة طيبة مرضية جدا ... فقد اعتمد على ثلاث مخطوطات : احداها موجودة بمكتبة جامعة الجزائر ، وقد أصابها شىء من التحريف كما أصاب غيرها من نفائس الكتب « لما عاثت بها يد الاستعمار الغاشم » فى ٧ يوليه سنة ١٩٦٢ . والمخطوطة الثانية بالمكتبة الوطنية بباريس . والثالثة بمكتبة ليدن بهولندا .

وقد وصف الاستاذ المحقق كل مخطوطة وصفا دقيقا تتبين منه مدى ماقاساه من العناء فى المقارنة والتحقيق ، وبخاصة أن بعضها قد كتب بخط غير واضح ، فضلا عما كان فيها من خلط بين الضاد والظاء كما ينطق بهما العامة .

وقد صدر الاستاذ المحقق الكتاب بمقدمة قيمة تستشف من أسلوبها ثقافته الدينية الضخمة ، عرض فيها لأشهر الرحالة العرب الذين جاسوا خلال الديار وجابوا البلاد طولا وعرضا ، واصفين أحوالها الجغرافية والتاريخية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية فى دقة تستثير الاعجاب ... نذكر منهم

ابن حوقل المتوفى سنة ٣٢٧ هـ ، والمقدسي المتوفى سنة ٣٧٨ هـ ، والبكـرى المتوفى سنة ٤٨٧ هـ ، والادريسي المتوفى سنة ٥٩٠ هـ ، وابن جبير المتوفى سنة ٦١٤ هـ ، وابن رشيد المتوفى سنة ٧٣١ هـ ، والبلوى الذى قصد مكة المكرمة سنة ٧٣٦ هـ ، وابن بطوطة المتوفى سنة ٧٧٩ هـ ، والعيـــاشى المتوفى سنة ١٠٩٠ هـ ... وغيرهم وغيرهم .

وقد لاحظ الاستاذ المحقق أن القرن السابع يكاد « يخلو من واصف لأحواله ، مقيد لحوادثه » . ولعل ذلك كان من الأســـباب التى حفزته الى نشر هذا الكتاب . هـــذا الى أن رحـــلة العبدرى كانت رحلة « مغربية » خالصة ، « ولولا العبدرى لترك المغرب فى دياجير الجهل والغموض » ابان تلك الحقبة من الزمن .

وقد أحسن الاســـتاذ المحقق صنعا حين عرف بالمؤلف فى لمحة موجزة ... فهو محمد بن محمد بن على بن احمد بن مسعود العبدرى . ويسميه الكتاب المغاربة فى مؤلفاتهم أبا محمد العبدرى البلنسى ، نسبة الى « بلنسية » احدى دور العلم فى الاندلس أيام ازدهار الدولة الاسلامية هناك .

والعبدرى ينتسب الى عبد الدار بن قصى أحـــد أجداد الرسول صلى الله عليه وسلم . وكان عبد الدار أحب أولاد قصى اليه ، ولهـــذا ولاه وظائف البيت الحرام كلها .

وقد أهمل مؤرخو التراجم تاريخ مولده ووفاته ، ولم يذكروا شيئا ذا غناء عن حياته وأطوارها . ولهذا خفيت علينا حقيقة مسقط رأسه : هل ولد فى المغرب او فى بلنسية ؟ . ويرجح السيد المحقق أنه من مواليد بلنسية ، « ثم حمل رضيعا أو صبيا الى المغرب عندما فر أبواه من الأندلس الى العدوة الافريقية ، كما فر كثير من المسلمين عند استيلاء النصارى على عواصم الأندلس » . وقد حفظ التاريخ لنا أسماء كثير من العلماء الذين فروا من الأندلس الى المغرب عنـــدما دهمتهم قارعة الفرنجة على يدى فردينان وايزابيلا ، منهم أبو عبد الله محمد بن صالح الكنانى الذى غادر شاطبة سنة ٦٤٥ هـ والتجأ الى بجاية ، وابن الأبار الذى ترك بلنسية الى المغـــرب ، قبـــل أن يتركها المسلمون للعدو حسب المعاهدة التى جرت بينهم . وكان الطاغية فردينان أمنهم على أنفسهم وأثاثهم ، وتكفل برعايتهم حتى يصـــلوا الى حـــدود البـــلاد الاسلامية » ، كما يقول ابن عبد المنعم الحمـــيرى فى كتابه « الروض المعطار » .

وعلى ذلك يمكن ان يقال ان اسرة العبدرى حملت زادها وعيالهـــا وحاجها وفرت مع الفارين الى بلاد المغرب العربى .

وقد نشـــأ العبدرى فى بيئة عربيـــة خالصة ، واستقرت أسرته بعد الهجرة من الأندلس بالسوس الأقصى على الشـــاطئ الاطلنطى حيث يكون الطقس فيها قريب الشبه بمناخ بلنسية ، ولكنه ظل محتفظا باسم مسقط رأسه ، واليه ينسب .

وقد شب العبدرى وترعرع فى المغرب . ولما بلغ اشده واستوى أخذ يتلقى العلم على شيوخ عصره . ثم تاقت نفســـه الى الرحلات ليكتسب فى أسفاره مالا يستطيع أن يظفر به فى الكتب والدفاتر . فقام برحلته المعروفة « بالرحلة المغربية » فى ٢٥ من ذى القعدة سنة ٦٨٨ هـ ، وسجل مشاهدها فى هذا الكتاب الشيق الممتع .

ويبدو أن « الرحلة المغربية » كان لها شأن أى شأن عند القراء منذ أن سجلها صاحبها ، لأنهـــا اطلعتهم على أحوال المغرب فى ذلك الحين . ولهـــذا تناولوها بالنقل والدراسة ، لما فيها من تراجم لكثير من اعيان العلم والأدب ، ووصف لآثار قديمة وأماكن مختلفة أغفلها من سبقه من الرحالين .

فقد تناول بالوصف الضافى كل ما صادفه من جبال واودية وسهول وأنجاد وبواد . ونحن نحس بالمتعة الغامرة حين نقرأ وصفه لواحات الصحراء ، فانه يذكرنا بما يكتبه سائحو العصر الحديث من وصف دقيق لمثل هذه البقاع .

والمؤلف يلذ عقولنا ومشاعرنا حين يصف السكان فى أزيائهم الوطنية ، وحين يصف عاداتهم وتقاليدهم الساذجة فى بيئاتهم المختلفة .

وقد وصف المؤلف ادق وصـــف المدن التى حط رحاله فيهـــا أثناء رحلته ، مثل تلمســـان ومليانه والجزائر وبجـــاية وقســـنطينة وعنـــابة وتونس والقيروان ، وكأنه رسم لنا لوحات فنان ماهر ولكنه بث فيها الحركة والحيـــاة ، مع أنه كان لايمكث فى بعضها الا يوما أو بعض يوم ، لأن القـــافلة كانت تغذ السير نحو البقـــاع المقدســـة التى هى مطمح كل حاج . ولكنه كان شـــديد اللماحية

صادق الحس ، كالمصورة الشمسية التي تلتقط الصور في دقة بالغة .

وكان المؤلف يعنى أشد عناية بوصف أحوال السكان الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعلمية ... وكان منها ما يسر ومنها ما يؤلم ، كوصفه لحالة العلم في المغرب العربي كله « وغباوة بعض المشايخ وسوء حفظهم وضيق معلوماتهم واستخفافهم بالبحث والتدقيق ... ففقدوا حب التحصيل ، وكلت هممهم في طلب العلم » .

ولاشك أنه كان يقيس حالة العلم في المغرب بحالته الزاهرة في الأندلس « بفضل ما أخذه عن آبائه وعن العلماء اللاجئين بالمغرب القريب من العدوة الأندلسية » .

و « الرحلة المغربية » جمة الفائدة ، لأنها ــ بما حوته من أخبار كثير من العلماء ــ كانت ينبوعا ثرا استقى منه مؤلفو التراجم المتأخرون في أعلام المغرب .

وكان العبدري يقصد دور العلماء في كل بلد يحل به ، ويأخذ عنهم ، ويتلو بين أيديهم الكتب المطولة في وقت قصير . وربما كان ذلك يتطلب من غيره الأسابيع الطوال ، ولكن همته كانت لاتقف عند حد . وكان العلماء يعجبون بحدة ذكائه ووفرة تحصيله ، فكانوا ينصتون اليه بياض نهارهم وشطرا من ليلهم « لايفارقونه الا لتجديد الوضوء رغم ضعفهم وشيخوختهم ... ولا يجدون مندوحة في ابجازه مع مزيد الثناء والتشجيع على التحصيل » .

وقد وصف لنا كل شيخ قابله ، وذكر حلمه وورعه وتقواه . وكان يطلب منه قبل أن يفارقه الدعاء ، ويستمد منه البركة .

وقد استفاد منه الرحالون الذين خلفوه ، ونقلوا عنه ، مثل ابن بطوطة والعياشي ، وغيرهما .

فنحن حين نقرأ مثلا وصف العبدري لمنار الاسكندرية ، ثم نقرأ وصف ابن بطوطة لهذا المنار نجد الثاني قد نقل عن الأول نقلا حرفيا دون أن يشير الى سالفه . وكذلك فعل كثير من مؤلفي التراجم الذين جاءوا بعده .

وقد وصف لنا العبدري ما قاساه من وعثاء السفر ولأواء العيش في رحلته الطويلة ... فمن لصوص تعيث في الطريق فسادا وتنهب أمتعة المسافرين ، ومن ظمأ ينهك الأبدان ويزلزل الحناجر ، ومن نفاد للميرة حتى لا يكاد المرء يجد ما يسد به الرمق ، ومن سبل وعرة ملتوية تضني سالكيها وتستنفد قواهم ... الى غير ذلك من ألوان المشاق . ولكن هذا كله لم يكن ليفت في عضد العبدري أو يفل من عزمه .

ولشدة ولوعه بالعلم وحبه للتحصيل كان يرى في المنام شيخه أبا الوليد الباجي يلقنه العلوم في نومه . وكان يحب أن يأخذ العلم من أفواه أربابه ، فاذا تعذر عليه ذلك فهو آسف محزون ، وحينذاك يضطر الى نقله في الدفاتر .

وقد كان الرجل أمينا في الوصف لا يتحرف فيه ولا يتحيز ، وفي ذلك يقول في المقدمة : « وبعد فاني قاصد بعد استخارة الله سبحانه الى تقييد ما أمكن تقييده ورسم ما تيسر رسمه وتسويده مما سما اليه الناظر المطرق من ذكر بعض أوصافها وأحوال من بها من القطان حسبما أدركه الحس والعيان ، وقام عليه بالمشاهدة شاهد البرهان ، من غير تورية ولا تلويح ، ولا تقبيح حسن ولا تحسين قبيح ... حتى يكون السامع لذلك كالمبصر ، وأذكر مع ذلك ما استفدته من خبر وانشدته من درر ، وأثبت في خلال ذلك من نظمي مايتغلغل اليه الكلام أو تجنح الى تحصيله ضوامر الأقلام ، وأضيف الى ذلك ما يضطر اليه التبيان فيما قصر فيه العيان ، من نبذ مذكورة ونتف مشهورة ونكت مرسومة في الكتب مسطورة » . وصدق الرجل فيما قال .

والكتاب مليء بالأمثال السائرة والأحاديث الشريفة والآيات الكريمة ، يستشهد بها في أماكنها اللائقة .

واذا كنا قد أزجينا التهنئة خالصة لاخواننا الجزائريين حينما انتزعوا ببطولتهم الفذة التي أصبحت مضرب الأمثال استقلالهم من براثن الاستعمار ، فاننا نحيي فيهم هذا النشاط المتوثب الذي يبذلونه في نشر الثقافة العربية ، ووصل ما انقطع من مقومات اللغة والدين .

حياهم الله ، وأدام عليهم نعمة التوفيق في معركة البناء ، وعيا لهم من أمرهم رشدا .

د . عبد الحميد سند الجندي
أستاذ معار من جامعة عين شمس بجامعة الجزائر

... أصل الحكاية ؟!

بقلم : محمد جلال كشك

جاء الصيف .. ولا أقول الربيع .. فربيع مصر خريفها .. وما أحلى ليالى الصيف .. فيها يطيب الحديث ، ويحلو المزاح .. وقد ثقل علينا حديث الجد ، وآن ان نتخفف قليلا خشية ان يقال عنا اننا مجلة عابسة .. (بالسين) !

واغفروا لى ان بدأت هـذا الحديث ، بشىء من المباسطة والدعابة .. فلو عرفتم عذرى لخففتم لومكم .. وانا اعدكم ان يكون هذا آخر المزاح .. حتى نفرغ من هذا الحديث .. وان شئتم فليكن حديثى هذا .. «الخلفية الفكاهية » لدراسة جادة لكل ما ابتلينا به منذ ان بدأ بعض الكتاب تاريخنا القومى بالجنرال يعقوب ، العميل الفرنسى ، والدفين فى برميل الخمر .. وصاحب الوصية الشاذة ،بدفنه مع سيدة ديسيه فى قبر واحد ! .. الى ان اتهموا أبا العلاء المعرى ، بأنه كان يفضل التمزق السياسى فى مدن الشام والعراق ، بل مهادنة المحتل الاجنبى .. على الاستقلال السياسى والقوة تقدمهما مصر .. لأن التمزق فى مدن الشام والعراق ، ومهادنة الغازى ، يخلقان « مدنا متفقة تحترم العلم والفكر والعقل وتضطرب بالرياضة الروحانية او العقلانية .. بينما مصر رغم قوتها كانت معادية للثقافة والفكر والتراث العقلى الانسانى والتواصل الحضارى بين الشعوب بغض النظر عن علاقاتها السياسية »

وافهم يا لبيب ! ..

حقا ان الطبع يغلب التطبع ، ورغم التزامى بأن يكون حديثنا هذا مزاحا كله .. يوشك أن يخرج الامر من يدى فينقلب غما .

لنبدأ بحكاية من التراث :

روى عن فقيه الاسلام ، الامام ابى حنيفة رضى الله عنه ، انه كان يشكو علة فى رجله ، تجبره على أن يمدها فى مجلس علمه .. ولم يكن الامام ابو حنيفة يتحرج فى ذلك .. فهو بين تلاميذه المقربين بفضله وليس على المريض حرج .

حتى جاء المجلس يوما .. رجل وجيه ، عليه سمت العلماء ، ووقارهم .. عمامته كبيرة ، ولحيته تصل الى صدره .. وجلس هادئا يستمع فى انصات ويأتى من الحركات بعينيه وشفتيه ، ما يوحى بتتبع الفاهم ، وما يشى بانتقادات أو تعليقات يكتمها ..

وخطر لامامنا انه امام عالم جليل يزيد فى مهابته هذا الصمت الذى يتحلى به .. والسمت الذى يبدو فيه .

وطوى أبو حنيفة رجله المريضة .. فمهما يكن ألم الجسد فاحترام العلماء واجب ، وتوقيرهم من صميم احترام العلم حتى فاض الألم بأبى حنيفة من رجله المريضة ، ومن تعطش قلبه للعلم ، وخشيته أن يذهب ذلك الرجل الذى هو فى هيئة العلماء دون أن يفيض من علمه فى مجلس ابى حنيفة .

وتلطف الامام بزائره قائلا : « ايها الاخ الكريم هل تفضلت علينا بشىء مما اوتيت علمه ؟! »

ونطق الذى سكت دهرا .. فسأل : « متى يفطر الصائم ؟ » .. وظن أبو حنيفة أن حوارا بديعا قد بدأ .. فليس أجمل من حوار بين علماء ، يبـدأ بسؤال فى البديهيات .. وسارع يجيبه : « اذا غربت الشمس » فاذا بالرجل ، الذى هـو فى زى العلماء ، يقول : « واذا لم تغرب الشمس ؟! »

هنا استرخى ابو حنيفة قائلا : « عندئذ يمـد ابو حنيفة رجله ! » فما دام هذا هو مستوى الحديث فلا بأس من مد الرجل و « البجبحة » .. اذ لاتوقير لجاهل يتعالم !

اسوق هذا الحديث بمناسبة الحوار الدائر بين مجلة الرسالة ، وبين تلك الفئة من الكتاب .

والحق أقول لكم .. اننى عندما كتبت مقالتى الاولى فى موضوع المعلم يعقوب اياه .. كان يتملكنى شىء من التهيب .. فقد كنت اتوهم أنى أحاجى عالما دارسا . وان يك فاسد الرأى ، الا ان لديه من المعرفة التحصيلية ما يستطيع ان يبلبل بها .. وان يفحمنى ولو بالخطأ .

وحتى عندما اخرجت كتاب « الغزو الفكرى » الذى تناولت فيه مزالق تلك الفئة كنت أضع يدى على قلبى مخافة ان يبطشوا بى ، بعلمهم الشرير ، وليس لى فى مواجهتهم الا ايمانى بأمتى ، وثقتى فى فطرة شعبى .. واجتهادى فى الذود عن تاريخنا بعلمى المتواضع جدا .

وظللت فى توجس .. حتى شاء ربك ان يفيضوا علينا من علمهم .. وكان ان قرروا الخروج بدراسة عن ابى العلاء المعرى ، يثبتون فيها حكما أصدروه من قبل .. فمثلهم من العلماء لايبدأون بالقراءة والدراسة والمناقشة ثم ينتهون الى فرض ، يمتحونه بالادلة نفيا واثباتا .

لا .. ان العلماء من امثالهم يبدأون بنية سابقة ، ثم يتلمسون لها الادلة .. فان لم يجدوا .. صنعوا .

وهكذا قرروا ان « المعرى » هو ثمرة حرب العقائد التى دارت بين المسلمين والمسيحيين فى الحرب الصليبية بالرغم من أن « المعرى » مات قبل هذه الحروب التى تعرف تاريخيا ، واصطلح على تسميتها بالحروب الصليبية ! .. لا بأس .. فلتكن الحرب بين الروم والعرب هى بداية الحروب الصليبية ! .. مع ان هذه الحرب دائرة بغير انقطاع بين العرب والروم منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بعث المسلمين فى غزوة « تبوك » .. ويصعب على كل دكاترة « الخلوة المشهودة » ان يجدوا خليفة لم يقاتل العرب الروم فى عهده .. ولكن الحكم الصادر من تلك الفئة يتطلب ان تكون الحروب الصليبية هى تلك التى دارت فى عصر المعرى وحده ! ..

فى اية حال .. انا لا أنوى ان أفسد سهرتنا الليلة ، بالاحاديث الجادة .. فحسبى فى هذه المقالة ان احكى لكم أصل الحكاية ، قبل أن تصبح كتارات الصعيد تسمع طلقاتها وصراخها ، ولا يدرى أحدمتى بدأت .. ولماذا ثارت ؟ .. وقبل ان تتحول الى فولكلور يتكسب البعض من تمويلها الى مسرحية واغنية ! ..

لقد كان حديث « دير الفاروس » وراهبه المشئوم الذى جر على تلك الفئة شر البلاء .. وبحديث «دير الفاروس » .. قامت تلك الفئة بالعمل الصالح الوحيد فى حياتها .. خفف الله به عنها يوم القيامة .. اذ استثارت غضب الحليم ، واخرجت استاذنا محمود محمد شاكر عن صمته .

وكشف الاستاذ الكبير محمود محمد شاكر انتلك الفئة لاتحسن أن تقرأ خبرا .. بل تنقل من كتاب قد يكتفى به الطالب ، ولكنه لا يغنى المكتشف ، والمؤرخ ، والمناظر .. فمن اراد أن يفجع العرب فى شاعرهم وفيلسوفهم ، فيجعله تلميذا لراهب مجهول فى دير منكور .. كان عليه أن يتحرى ويستقصى ..

وكشفت ابحاث الاستاذ محمود محمد شاكر أن تاريخنا متصل الحلقات ، وان الفكر العربى متكامل كاتم ما يكون الفكر .. وان الذين يؤمنون بهذا التراث ، اكثر علمية ، واقدر على البحث العلمى .. من « الخطافين » الذين لايعلمون ، ولا يحسنون أن يتعلموا .

وقبل ان نفيق من هول « دير الفاروس » خرجوا علينا بالهول الاكبر اذ وسوس لهم شيطانهم أن يفسروا القرآن !

فما يكادون يسمعون الآية : « فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان » .. حتى يسمونها « الوردة » أخت « الفلة » « والياسمينة » .. فيتيهون فرحا بانها « روزا مستيكا » ويستخرجون من ذلك نظرية .. كما يحدث للخواجا الذى غرر به ابن بلد فاسق .. فزعم له أن شركة « كوك » مذكورة فى القرآن ! فى آية : « وتركوك قائما ! » .. استغفر الله العظيم من كل ذنب أو جهل عظيم ..

وعندما وصل الأمر الى أن يفسروا القرآن على هذا النحو ، لا يكلفون انفسهم أن يفتحوا قاموسا ولا أن يرجعوا لكتاب تفسير ، ولا يسألوا شيخا أو تلميذا .. عندئذ يحق لصاحب كل قلم ، أن يتخفف ، ويمد رجله ويده .. فالبساط أحمدى ! ..

وبعـــــدها سار الهرج والمرج ، واختلط الحابل بالنابل ، وفسروا حـــديث أبى العـــلاء ، حيث النصـــوص بالخط الكوفى العسير فهمه ، بحروف الطباعة الحديثة ، فحدثونا عن « لواحظ » التى هى مغنية ، فجعلوها عيون مطربة « تتكتك ! » .

وللحقيقة والتاريخ .. أنه رغم الالم الشديد من رفضهم نشر تصويب لتفسيرهم الخاطىء للقرآن .. أو على الاقل توضيح رأيهم أن كانوا مصرين على هذا التفسير .. فليس من اللياقة ولا من أدب النشر والفكر أن تترك مثل هذه القضية معلقة على هـــذا النحـــو .. فلاهم يعترفون بخطئهم .. ولا هم يزيدوننا علما بالمصدر الذى اســـــتندوا اليه فى تفسيرهم الوردى ! ..

اقول رغم هذا الالم ، فقد أحببناهم ، بعـــــد أن اكتشفنا الجانب الفكه من شخصيتهم ذلك الذى كان يحجبه تزمت العلماء ، ووقار العارفين .. فاراحهم منهما الاستاذ محمود شاكر .

وكان يمكن أن يستمر هذا الجو المرح ، لولا أنهم احتجبوا حينا من الدهر ، حتى لقـــــد خشيت أن يكونوا قد ذهبوا الى « دير الفاروس » يستخرجون رفات الراهب ، ليحملوه الى مجلة الرسالة فاذا بهم يخرجون بجداول ولوغاريتمات .. وكما قال فقيـــه لصفيق ساله « هل يحتجم ؟ » .. فاستعبر الفقيـــه قائلا : « الحمد لله الذى اخرجنا من الفقه الى الحجامة» .. نقول لهم الحمد لله الذى أخرجنا من الفكر الى الصرافة ! » ..

وارجو أن أكون قد رويت لكم اصل الحكاية .. أما الحكاية ذاتها فموعدنا لقاء آخر ..

« محمد جلال كشك »

لاجَدوى

للشاعر : إبراهيم الثلوانى

كنا .. واصبحنا .. فلا جدوى
من ذكرنا للحب والنجوى
ما كان كان .. ولن يغيره
فيض من العبرات والشكوى
وعتابنا ما عاد ينفعنا ..
مهما تسلسل لينا رخوا
ايامنــــا ذبلت نضــارتها
وغدت حكايا حبنا .. لغوا
والذكريات تمر فى كسل
وكأنها مخلوقة سهوا
تمضى بلا شىء يخالجنى
لو طاف بى .. فلربما عفوا
ما عدت اغنية على شفتى
ما عدت لحنا ناعما حلوا
ما عاد وجهك مشرقا نضرا
يوحى الى الشعر والشدوا
لا شىء فى الأحداق يجذبنى
لا حب .. لا ايمان .. لا سلوى
أنا لا ارى فيها سوى حفر
مطموسة الجدران والماوى
والحصلة السوداء ما بقيت
فوق الجبين تظلل الصحوا
عبثا .. دموعك لن تغيرنى
لا تقدر الدنيا ولا تقوى
لا استطيع رجوع ما قطعت
قدماى .. انى اسرق الخطوا
انت انتهيت لدى من زمن
مذ رحت تحترفين ما اهوى
ما بيننا فرق يباعدنا ..
كالفرق بين الشرك والتقوى
لا تاملى فى الوهم واصطبرى
قد تعثرين غدا على مثوى
فالوجد مات وناره خمدت
وبرئت منه .. ولم يعد شجوا
واذا بحثت اليوم لن تجدى
حبا .. فقد اشبعته محوا

أسبوع الكتاب العربي

الجمهورية العربية المتحدة
الثقافة والارشاد القومي



١٩٦٥

- معرض الكتاب العربي يشترك فيه ١٨٨ هيئة .
- مؤتمر عام لمناقشة مشاكل الكتاب العربي .
- معرض لتطور فن الطباعة .
- معرض للفنون التشكيلية .
- ندوات لكبار الكتاب .
- عروض سينمائية .

دمنهـــــــــــور

من ٢٩ مايو إلى ٤ يونيه سنة ١٩٦٥

مقر اللجنة النقابية للعاملين بوزارة الإدارة المحلية شارع الجمهورية

أشياء حول الأدب

بقلم عبده بدوى

كلمة حزينة

لم تكن حياة الدكتور محمد مندور مجرد حياة رتيبة بدأت فى ٥ يوليو عام ١٩٠٧ ، وانتهت فى ١٩ مايو عام ١٩٦٥ ، ولكنها كانت حياة عاصفة عرفت كيف تستوعب المجتمع المصرى ، ثم الحياة الأوربية ، ثم عرفت أخيرا - والعالم بين يديها - كيف تتحكم فى حركة الفكر ، وتدخل فى نسيج الانسان الثقافى فى المنطقة العربية .

ولعل الذى أعطاه حركة الاستمرار هذه هو ولاؤه لكافة المراحل التى مر بها ، ذلك أنه لم يكن يلمس هذه المراحل ثم يغادرها كأنه صورة طائر ترتسم على بحيرة ، وانما كان يغوص فى هذه المراحل ثم يغادرها وفى نفسه وعلى جبهته الكثير من الجهد والعرق ، حتى ليخيل للانسان أن الدكتور محمد مندور لم يكن يتنفس ، وانما كان « ينهج » فى كافة مراحل حياته ، ثم أنه كان يحيد بطبعه عن الجانب السهل من الحياة ، ومن هنا نراه يتجاوز دائما دائرتى الطمأنينة والصمت الى دائرتى القلق والوهج !

فقد كان يكفيه فى المرحلة الثانوية أن يتفوق على زملائه ، ولكنه كان يؤثر فى هذه الفترة المبكرة أن يحمل عقله ونور عينيه أعباء الكتب الأم الى حد أنه - فى سنى المرح هذه - كان قد تمكن من أن يعمل بنصيحة أحد شيوخ الأدب ، التى تدور حول معرفة الأغانى للأصفهانى ، والكامل للمبرد ، والأمالى لأبى على القالى ، والعقد الفريد لابن عبد ربه .

ثم نراه بعد ذلك يجهد نفسه وعينيه بمواصلة الدراسة فى كليتى الآداب والحقوق ، وحين يسافر الى فرنسا نراه يغرق نفسه فى الآداب واللغات اليونانية القديمة واللاتينية والفرنسية والفقه المقارن، وفى القانون ، والتشريع المالى والاقتصاد السياسى، والنظم الضريبية ، بالاضافة الى المذاهب الاقتصادية ، وفلسفتها .

وقد أثر هذا وغيره على حياته الفكرية ، فكان بحق أحد جيل الرواد الذين كتبوا فى أكثر جوانب السياسة والأدب والفن ، والذين تلفتوا من حولهم فرأوا فراغا فى كل شىء ، ومن هنا كانت مبادرتهم لأن يقولوا للشعب من حولهم أشياء كثيرة تمس نفسه وتحرك وجوده ، وتجعله يدفع بوعى عجلة التاريخ التى غاصت فى الحياة العربية فترة كبيرة من الزمن !

ومن الطبيعى أن شخصا له هذه « **الطاقة الزائدة** »



لم يكن يستطيع أن يهدأ ، أو يجعل الحياة تجمد من حوله فقد كان هناك الغليان الذكى الذى صحبه من القرية الى القاهرة الى عدد من عواصم أوربا ، فنحن نراه لا يستقر فى آداب القاهرة بعد أن وضع تقريرا يدين فيه الخط الذى تسير فيه دراسة اللغة والأدب .

وفى آداب الاسكندرية نراه يقوم بدراسة العروض العربى على اساس جديد من الاعتماد على المقطع بدلا من الاعتماد على الحرفين الساكن والمتحرك ، ولكن حين ترفض الجامعة ترقيته وبخاصة بعد أن حصل تحت اشراف أحمد أمين على درجـة الدكتوراه فى موضوع « تيارات النقـد العربى فى القرن الرابع الهجرى » .. نراه يوجه مستقبله نحو الصـحافة فيتحدث فى هذا مع أنطون الجميل ، وبطول انتظاره، وما تكاد الفرصة تسنح له للعمل بجريدة «المصرى» حتى يقبلها ، ولكنه ما يلبث حتى يقع فى خلاف مع محمود أبو الفتح ، ويترك المصرى الى جريدة «الوفد المصرى» ، وينجح فى أن يضع تحت شعارها كلمة « العدالة الاجتماعية » ، ولا تتســع الجريدة لرغباته فيصدر ـ مما ادخره ـ مجلة اسبوعية اسـمها « البعث » .. وحين تعصف بهما الدولة ، ينتقل الى جريدة « صوت الأمة » .

ثم نراه بعد ذلك يعمل محاميا ، وعضوا بارزا فى البرلمان الذى عصف بمعاهدة ١٩٣٦ .

وفى ظلال الثورة نراه يتمكن من العودة الى ثقافته حين نراه يعمل استاذا بالمعهد العالى للفنون المسرحية ورئيسا لقسم الأدب الدرامى فيه ، كما نرى هـذا النقاء يزداد حين يسهم بالتدريس فى المعهـد العالى للدراسات العربية ، وقد كان يمكن لأى انسان أن يستوعبه معهد واحد من هذين المعهدين ، ولكنا نراه بعد أن ثبت قدميه على هاتين القـاعدتين الصلبتين يبسط جناحيه على الحياة الأدبية فى العالم العربى ، فالانسـان يراه فى جريدة صباحية ، وفى عـدد من المجلات ، بالاضافة الى أجهزة الاعلام ، والى التعريف بالكتب ، والى بعض الكتب التى لا يكف عن تصديرها الى عقل القارئ، سواء أكانت هذه الكتب مؤلفة أم مترجمة ، بل لقد وضع قصة فيلم يسمى « الهام » .

ولقد انعش هذا النوع من النشاط الحركة الفكرية وكان خيرا وبركة على الشبان ، ذلك لأنه كان الوحيد فى جيله الذى كان يضع فى مخططه تشجيعهم ،ووضع أيديهم على نقاط القوة والضعف فيهم ، وانه يندر أن يوجد كاتب من الكتاب اليوم لم يتمكن من الاحتكاك المباشر بالدكتور مندور عن طريق التدريس أو مناقشة ما يصدر عن طريق الاذاعة أو التليفزيون أو الجرائد أو المجلات أو الندوات ، ومن هنا تأتى خطورة موقف الدكتور مندور فى الحقل الأدبى فلقاءاته مع هـؤلاء الشبان كانت لقاءات ساخنة ، و « على الطبيعة » ذلك لأنه كان يهتم دائما بكسر الحاجز بينه وبين الناس، فهو فى أول الأمر يزيل الوحشة الأولى التى تكون بين المتكلم والمتلقى ، فاذا تمكن من هذا ونجح فى الدخول الى نفسه ، قال كل ما يريد أن يقول مختلطا بالابتسام ، والدعابة ، والجد ، بحيث يحس السامع أن كل ما يقال صادق وجاد ولا يحكمه التعالى أو الزهو .

ومن الغريب أن الرجل الذى عرف المعارك الضارية فى اللغة مع الأب انستاس كرملى ، وفى المنهج النفسى مع محمد خلف الله أحمد ، وفى تحديد وظيفة الأدب مع الدكتور رشاد رشدى ، وفى عدد من القضايا

الفكرية الجادة مع عباس محمود العقاد : الرجل الذي يفعل هذا كان كنســمات الصـيف التي تهب على الشبان ، فاذا بالخائف منهم يثق في نفسه ، واذا بالمتردد يقتحم الميــادين في ضراوة ، ولعله بموت الدكتور محمد مندور ينتهي تماما في حياتنا عهـد الناقد الموسوعي الذي كان قلبه يسع كل الناس ، والذي كان لا يعرف التعصب لشــاعر أو كاتب ، فبالرغم من انه كان يصدر عن وجهة نظر معينة في النقد ، انتقلت به من المنهج الجمالي ، الى منهج النقد الوصفي التحليلي ، الى المنهج الايديولوجي ٠٠ الا انه كان يبارك الجميع ، ويدفع بهم الى أن يتطوروا ، وأن يزدادوا التصاقا بالحياة ، لقد كان يقدم في تقييم الأعمال الأدبية في الفترة الأخيرة المضمون على كافة القيم الاخرى ، وكان وراء كافة الأعمال الجديدة ، ولكنه لم يقل باغفال القيم الجمالية ، ولم يقل بقطع الصلة بالماضي ، ولم يمنعه وهو في قمة توهجه أن يقول انه تأثر فيمن تأثر بطه حسين ، والعقــاد ، وميخائيل نعيمة !

لقد عاش **الدكتور محمد مندور** حيــاته بالطول وبالعرض ، وعرف كيف يفرد أهدابه ثم يظلل بها المثقفين ، وقد تلقى وحده ضغط المعرفة المتوهج على هذه الاهداب ، وكنا حين نراه في الفترة الاخيرةوهو يقلل من الخطا ـ لضـعف ميناء النور في عينيــه ـ نحس أن قلبه ما زال كقطعة من الشمس ، وكنا نقدر أنه كان يسـتطيع أن يصل الى نهاية الشوط وادعا وديان ومجوفا ، سواء أكان قد اختار طريق الحقوق أم الآداب ، ولكنه آثر أن يضع في كل طريق قدما ، وأحب أن يصهر قلبه ثم يقدمه وهـو يغلي للانسان ، وكأنه يريد أن يقول انه لا قيمة لتجميد الحياة والمحافظة عليها وراء يدين ناعمتين ، وأهداب مخملية ، وصــوت حريري ، ولكن يجب على كل انسان أن ينزف ويعرق وتشتد أنفاسه ، ولعل هذا هو السر في تنقيبه الدائم عن القيم الحركية ـ في الأدب والفن ـ وراء التطور المادي والاجتماعي للحياة، ودعوته الى أن تكون هــذه القيم متوهجة وثرية ، ليزداد توهج الحياة وثراؤها ، وليكون دائما هناك شعار يقول انه يجب أن نعطي الحيــاة أكثر ممـا نأخذ !

ولقد عاش **الدكتور محمد مندور** بهـذا المقياس ، فحلق أكثر مما تتحمل عيناه ، ووسع خطوه بأكثر مما تتحمل قدماه ، ولقد كان يدرك أنه كالنجم الذي يمكن أن يسقط ما دام يجهد الحرارة التي يمتلىء بها قلبه ، ولكنه كان يحس أن هناك ما يشبه الفراغ في الحقل النقدي ، فهناك نقاد متخصصون في لقد شاعر أو قصاص ويرون الحديث عن غير هذا الشاعر والقصاص جريمة ، وهناك نقاد يشيعون وسط أعباء الحياة ، وهناك نقاد يقولون أشياء كثيرة دون أن يعنوا شيئا ٠

وفي ضوء هذا نرى الدكتور مندور قد اكتسب « شعبية » في الأوساط الأدبية ، ولقد كان مما يحببه الى النفس انه لم يكن يحجب الرؤية عن أحد ، بل كانت تمتلىء نفسه بالســعادة وهو يرى الكثيرين يكبرون حوله ، وتمتد قاماتهم ، ولن أنسى له انه في آخر ندوة سجلها له البرنامج الثاني كنت اشترك معه فيها ، وانه ترك لي فرصة الحديث فترة كبيرة ، وبين الحين والحين كان يذكر بعض الكلمــات التي تحرضني على مواصــلة الحديث ، وحين اردت أن اشكره عقب الندوة ، غير موضوع الحديث ٠

ان من السهل جدا أن يسند الانسان رأسه على يديه ـ **وعيناه ممتلئتان بالدموع** ـ ثم يذكر الأشياء الكثيرة التي تعلمها من الدكتور مندور ، والتي لايمكن أن تنسى ، لأنها لم تكن فقط مجرد قراءة في كتاب، ولكنها كانت موقفا ونبضا وشريطا صوتيا وانتفاضة عمر ، فالرجل لم يؤثر أن يجلس على مكتب ثم يخاطب الناس ، ولكنه نزل الى حياة الناس ، وتجول في نفوسهم وعيونهم ، ثم قال كلمته ٠٠ وعاد الى بيته مجهدا ـ في آخر الأمر ـ ثم حاول أن يدفع عنه يد الموت ، ولكنه لم يستطع لانه كان قد وزع قوته على أمته ، ومن هنا كانت اغماضة عينيه وقلبه ، ولكنه استعاد هذه القوة وهو يتقدمهم ـ **كما كان في حياته** ـ صامتا مسجى العمر ، ومنزوف الأيام !

وهكذا بعد أن شغل الحياة ، وحرك الفكر ، واعطى للسياسة معنى جديدا متقدا ، وبعد أن واصل رحلته على أكثر خطوط الطول والعرض في الكرة الارضية ، وبعد أن ظل يقبس من نفسه النار المقدسة ثم يعطيها الكثيرين ، وبعد أن فك نسيج النور من حبتي عينيه ليضيء عالم الفكر ، وبعد أن واصل سيره وثبا في القاهرة وبين يديه حبل قوي من الأيام ـ **كأنه مازال طفل الحياة الأخضر** ـ بعد كل هذا يغادر الدكتور محمد مندور القاهرة ، وحياة الناس ، ليستقر في أشبار ضيقة في كفر أبو مندور ٠٠ ولكنه سـيعود من جديد ليتجول في القاهرة ، في كتاب أو شريط أو ذكرى ، وقد تبتســم العين وهي تراه في كتاب ، وتزدهر النفس وهي تســمعه في شريط ٠٠ ولكن الذي لا شك فيه أن ذكراه لن تجيء دون أن يغرورق ابتسام العين ، ودون أن يتكدر ازدهار النفس !!

« **عبده بدوي** »

رسالة العلم

الدكتور عبد الحليم منتصر

الوطن العربي

والحاجة إلى إنشاء مركز اقليمي عربي لدراسات المناطق الجافة والأراضي القاحلة

يشغل الوطن العربي ، مساحة تربو على أحد عشر مليونا من الكيلومترات المربعة تمتد فيما بين الخليج العربي شرقا ، والمحيط الأطلسي غربا ، وبين البحر المتوسط شمالا وحدود السودان جنوبا ، ويشمل عددا من الدول العربية الأسيوية هي العراق ، وسوريا ولبنان والاردن وفلسطين والمملكة العربية السعودية واليمن والكويت وقطر والبحرين وعدن وعمان كما يشمل عددا من الدول العربية الافريقية ، هي مصر والسودان وليبيا وتونس والجزائر والمغرب • وانها لتحتل رقعة هائلة من سطح الارض ، تزيد على مساحة افريقيا كلها ، وقد ربطت المواصلات السريعة بين أجزاء هذا الوطن الشاسع الممتد الاطراف وغدا الاتصال بين اقطاره سهلا ميسورا ، وقد جمعت قطانه قومية واحدة ، وتاريخ مشترك ، ولغة واحدة هي اللغة العربية •

على أن أهم ما يميز الوطن العربي من الناحية الجغرافية البيئية ، في الجزء الأكبر منه الذي يقع ضمن النطاق الصحراوي ، انه صحاري شاسعة في الجزائر وليبيا ، ومصر والجزيرة العربية ، فنحن العرب ، سكان صحراء أغلب الأمر ، وفيما عدا الأنهر القليلة ذات الأودية الضيقة أو الدالات الصغيرة ، حيث توجد الأراضي الزراعية التي تعتمد اعتمادا كليا على مياه هذه الأنهر ، تكون الأراضي التي تزرع على مياه الأمطار القليلة ، محدودة المساحة ، أما أغلب الاراضي فانما تقع ضمن ما يسميه المختصون بالاراضي القاحلة أو المناطق الجافة ، حيث كمية المطر السنوية ، قليلة أو متمدمة ، ففي كثير من الجهات لا تتجاوز هذه الكمية بضعة مليمترات أو بضعة سنتيمترات على مدار السنة ثم انها تهطل في غير نظام ، وعلى فترات متباعدة ، مما لا يمكن أن يفي بحاجات الزراعة التي هي نباتات برية منتثرة أو مبعثرة هنا وهناك •

ولذا كان من الأهمية بمكان أن تفكر الدول العربية في انشاء مركز اقليمي عربي لدراسات المناطق الجافة والاراضي القاحلة ، وقد أثير الموضوع فعلا في المؤتمر الثاني لوزراء المعارف والتربية والتعليم العرب ، وهو المؤتمر الذي عقد ببغداد في فبراير سنة ١٩٦٤ • وقد أوصى بتأليف لجنة من المختصين لدراسة الموضوع ، تكون مهمتها تحديد مكان المركز ومهمته ونظامه وطريقة تمويله •

وقد وافق مجلس **جامعة الدول العربية** على هذه التوصية ، وبناء على دعوة من الأمانة العامة لجامعة الدول العربية (الادارة الثقافية) ، تم انعقاد هذه اللجنة في ابريل الماضي وحضر اجتماعها ممثلون لعدد من الدول العربية ، من بينها مصر وسوريا

والعـــراق والاردن والســـودان وتونس والجـزائر والسعودية ٠

وقد أجمع الأعضاء على أهمية انشاء مركز اقليمى عربى لدراسات المناطق الجافة والاراضى القاحلة ٠ ولا شك أن مكان هـذا المركز سيكون احدى دعائم النهضة العربية الحديثة ، وموئلا لشباب العلماء من كافة البـلاد العربية يتمرسـون فيه بالبـحوث والدراسات العلمية ، التى تتصل بالبيئة الصحراوية والمنـاطق الجـافة ومشاكلها بغية رفع المستوى الاقتصادى ، وزيادة الرقعة المنزرعة لمواجهة الزيادة المطردة فى عدد سكان البلاد العربية ٠

وقد وافق ممثلو الدول العربية على انشاء المركز ، وانشاء فروع له فى مختلف البلاد والمناطق ٠

ولعل من أهم أهداف هذا المركز الاقليمى القيام بدراسات تتصل بالمناطق الجـافة بالدول العربية كتلك التى تتعلق بالمصادر المائية ، سواء أكانت من الجـو ، أو من سـطح الارض ، أو فى باطن الارض ، فتشمل بذلك الدراسـات الميتورولوجية ، كذلك من أهدافه دراسة المياه السطحية والجـوفية قصد حسن استغلالها ، ووسائل استغلال المـوارد المائية على ضوء التوازن الهيدرولوجى للحوض المائى ٠ ثم دراسة النواحى الجيولوجية والجيومورفولوجيـة والجيوفيزيقية للمناطق المختلفة فى البلاد العربية ، الى جانب دراسـة اقتصـاديات اسـتغلال الاراضى القاحلة ٠

ويتعين أن يكون من أهداف المركز الاقليمى الذى ندعو الى انشائه ، دراسة كل ما يتعلق بالتربة ورسم الخرائط التى توضح أنواعها ، ودرجاتها ، وأولويتها فى الاستثمار الزراعى ، مع اقتراح الطرق الملائمة لكل منطقة ٠ وينبغى أن تتبع هذه الدراسات الخاصة بالتربة بحوث تهدف الى معرفة مدى تعرض التربة لعوامل التعرية والنحات بوسـاطة الرياح ومياه السيول ومـيـاه الرى والامطار ، واجراء التجارب لمعرفة أفضل الطرق للمحافظة على التربة وصيانتها ٠

ولعل مما يتصل بهذه البحوث وتلك الدراسات التى يعنى بهـا المركز ، دراسة أفضل طرق الرى والصرف بهذه المناطق ، قصـد الوصول الى الحد الأدنى للمقننات المائيـة ، وكذلك دراسـة أفضل الوسائل لحسن استثمار التربة والمياه ٠

وثمة دراسات لا ينبغى أن تغيب على القائمين بالامر فى مثل هذا المركز من المختصين ، مثل دراسة أثر الملوحة على التربة والنبات ووسائل علاجها ، اذ من المعروف أن أهم أسباب تدهور التربة فى كثير من الجهات ، انما هى زيادة نسبة الاملاح فيها سنة بعد اخرى ، ولابد لصيانة هذه التربة من العلاج السريع ٠

وهناك مشكلات تختص بتدهور الزراعة والغطاء النباتى ، ووسائل معالجة هذا التدهور ، فالمحافظة على الغطاء النبـاتى الطبيعى ، أمر تحتمه الضرورة ، اذ المشاهد ان هذا الغطاء فى تدهور مستمر ، نتيجـة لسوء الاستعمال والرعى والاستغلال من قطع وحرق او رعى شديد ٠

ولابد من القيام بدراسات تتعلق بصيانة وتطوير واستغلال المراعى ووسـائل استيطان البدو وأخرى خاصة ببيئة واقلمة النبات والحيوان ، مع تدريب الفنيين على الطرق الخاصة بدراسة وحصر وصيانة واستغلال الموارد الطبيعية من مصـادر مائية وتربة ومراع وغابات ٠ اذ لا شك أن كثـيرا من مناطق المراعى والغابات والاحراج فى جبال عسير وأواسط السودان ٠ وفى جبال علبة ، وفى غيرها من جهات كثيرة فى أنحاء البلاد العربية، ـ انما تتعرض للتدمير الشديد السريع نظرا لسوء الاستعمال والاستغلال بالقطع والحرق والاتلاف ، وينبغى أن يعمل القائمون بالمركز على استصدار التشريعات والتنظيمات التى تحد من سوء الاستغلال ، وتصون هذه الموارد الطبيعية من الدمار ٠

وكذلك ينبغى أن يبذل جهـد خاص فى التوثيق العلمى الذى يتصل باعمال المركز وبحوثه من حيث جمع البيانات والمنشورات والمراجع العلمية الخاصة بالمناطق الجافة من حيث الميـاه والتربة والنبات والحيوان ، وقد يكون ضروريا أن يصدر المركز نشرة علمية بصـفة دورية ، حتى تنقل نتـائج البحوث والدراسات والتوصيات الى سائر البلاد العربية ، ليعمل القائمون بالأمر فيهـا على تنفيـذ توصيات وتعليمات المختصين فى هذه الشئون ٠

ويتعين كذلك تبادل الخبرات والمعلومات والعلماء بين البلاد العربيـــة • وانه لمن الأهمية بمكان نشر الوعي لصيانة الموارد الطبيعية من مياه وأراض وغطاء نباتي ومراع وغابات واحراج ، ولا بد أن تستخدم وسائل الاعلام كلها لتحقيق هذه الغاية ، حتى يعرف النشء في البلاد العربية وســـائل صيانة موارده الطبيعية ، فمن الضرورى أن يتعلم التلاميــــذ في المدارس والجامعات والمعاهد المختلفة أهمية صيانة هذه الموارد ، وأن يعرف الجمهور عن طريق الاذاعة والتلفاز وسائل هذه الصيانة وأن يشرف على ذلك مختصون ذوو دربة ودراية بهذه الشئون •

ولعل من الأهمية بمكان أن تدرس في هذا المركز وسائل اعذاب ماء البحر ، حتى تستطيع أن تستقطر من ميـــاه البحر المالحة ، ماء عذبا يفي بحـــاجات الزراعة ، وحتى نعرف أى وســـائل الاعذاب أوفى بالغرض فتكون أقل كلفة ، وتستنفد طاقة أقل ، وهل يكون التقطير بالوسائل العـــادية باستعمال الوقود العادى ، أم أنه يمكن استغلال الطاقة الشمسية لهذا الغرض ، أو استغلال الوقود النووى في عملية التبخير ، وما يستتبع ذلك من انشاء مفاعلات للقوى، أو باجراء البحث عسى أن نهتدى الى استعمال وسائل كيميائية لاستخلاص الماء العذب من الماء المالح •

ولابد لنا أن نذكر أن في بعض البـــلاد العربية مراكز أو ادارات أو مختبرات تختص بمثل هـذه البحـوث أو الدراسات ، ففي مصر معهد للصحراء افتتح رسميا في سنة ١٩٥٠ وهو يضم أربعة أقسام منها واحـد للبحوث الهيدرولوجية ، وثان لبحـوث الاراضى ، وثالث للنبات ، ورابع للحيوان ، ويضم كل قسم عددا من وحدات البحوث المختلفة ، كما تتبعه خمس محطـات للبحـــوث ، في رأس الحـــكمة ، والعريش ، والوادى الجديد ، وبحيرة ناصر ، ووادى النطرون، وانه ليضم كذلك سبع وحدات مساعدةهي الكتبة والتوثيق ، والخرائط والتصـــوير الجوى ، والتصوير العلمى والمحطة الميكانيكية ، وحفر الآبار ، والورش ، والمعسكر والرحلات •

ويصدر المعهد مجلة بصــفة دورية ، وتتضمن الدراسات والبحوث التي تجرى بالمناطق الصحراوية سواء أكانت عن طريق المعهد أم خارجه ، كما يصدر نشرة خاصة بمعدل مرة أو مرتين في العام تتضمن الدراسات المتكاملة أو الاقليمية التي يقوم بها المعهد وبه مكتبة تضـم عـددا المراجع المختصة مئـــات من الدوريات العلمية •

وفي العراق معهد لبحوث الاراضى القاحلة ألحق بكلية الزراعة في جامعة بغداد سنة ١٩٥٩، وفي أوائل سنة ١٩٦٣ ألحق مباشرة برياسة جامعة بغداد من حيث الادارة والميزانية ، ولكن مقره وحقول تجاربه لاتزال ضمن نطاق كلية الزراعة ، وقد ضم أخيرا الى مجلس البحوث الأعلى الذى يضم أيضا معهدى البحوث البيولوجية وبحوث النفط • ويقوم المعهد بالدراسات الخاصة بالتربة واســتغلال الطاقة الشمسية وغير ذلك •

وفي تونس مركز لبحث الاراضى القاحلة ، أنشىء في أوائل سنة ١٩٦٤ ، يقوم على دراسة مشـــاكل الاراضى القاحلة •

ولا مراء في أن دولنا العربية تعلق آمالا كبـــارا على انشاء مثل هذا المركز الاقليمى وفروعه في البلاد العربية ، حيث يعمل المختصون من العلماء العـرب على استغلال بعض الجهـات الصحراوية وغيرها من الاراضى القاحلة والمناطق الجافة ولا يكون ذلك من أجل الارتفاع بمستوى الدخل للســكان الحاليين فحسب ، بل أيضا لمواجهـة الزيادة المطردة في عدد الســكان للوفاء بالاحتياجات الغـذائية المتزايدة الأمر الذى يجب العمل على مواجهته من الآن بالعمل على توسيع الرقعة الزراعية عن طريق الدراسة على أسس علمية قويمة لمشكلات المناطق الجـافة وذلك بانشاء مركز اقليمى عربى للدراسات الخاصة بها ، تتعاون الدول العربية في انشائه ويكون في خدمتها جميعا ، والله ولى التوفيق •

« د • عبد الحليم منتصر »

مع فنان

تقدم

اميل جرجس

يجب ان يحس القارئ بمدى ارتباط الفنون بكل انواعها وعلاقتهـــا بتربية الحس وتهذيب النفس وتنقية الذوق ، فهل يمكن ان ينفصل الفن عن الجماهير ؟ .. ان الفنان يخلق دائما فنه لهذه الجماهير .. ونحن نعلم ان الفنان سابق لعصره دائما . كما ان الفن لا يمكن ان يفرض على النـــاس فرضا . ولكن يجب ان يلجأ الجمهور اليه .

وعلى كل فانني اربط كلامي هذا بما شاهدته في معرض الفنانة عطيات فرج ، فهي تتناول موضوعات مصرية صميمة من واقع حياتنا ، تبدابالبساطة بعيدة عن الزخرف ، ولكنها مرتبطة بالواقع والتصـــوير الشخص ، فنرى اعمالها مبنية على اعطاء شخصية مميزة للاشياء التي تنقلها وتصورها – كما اننا نحس في جميع اعمالها باحساسها بالطابع المصري القديم ، ومدى تأثرها بحضارتنا السابقة ، وتحاول ان تقدم الأساس العلمي والأسلوب المدروس.

ومن صفاتها انها تركز على الوجوه ، وليس معنى هذا انها تهمل الأجزاء الاخـــرى ، فهي تخص الوجه باهتمام كبير وذلك لاظهـار التغيرات المختلفة التي تشعر بها ، وفي الوقت نفسه نحس في الوانها بالطابع القاتم الذي يتدرج بقوة نحو الظلام في بعض اللوحات .

ومع هذا تشعر بانك امام عمل فني متكامل يصل الى المرحلة التي يطلبها اي فنان حيث يبذل جهده في العمل باخلاص وامانة .

انني كم احس بالفرحة تملأ قلبي حينما ازور اي معرض من معـــارض فنانينا فارى انهم يسيرون دائما في الطريق الذي تسير فيه نهضتنا العـربية الحاضرة .



الفنانة عطيات فرج

- نالت جائزة عيد العلم لعام ١٩٥٥ .
- نالت جائزة التفـــوق من وزارة التربية والتعليم في سنة ١٩٤٩ .
- عرضت لوحاتها في معارض البيـــنال دي فنسيا والانترناسيونال في باريس وصالونات القاهرة وصالات الاسكندرية.
- أول معرض لها كان عام ١٩٤٧ بصـــالة جاليري توبليس في شارع سليمان باشا بالقاهرة ثم تلاه المعرض الثاني عام١٩٤٨
- قامت بعمل معرض آخر بصالة الاتيليه بالاسكندرية كما قامت بعمـــل معرض في ايطاليا سنة ١٩٥١ .
- ثم عرضت بصالة مكتبة الفن بالقـــاهرة سنة ١٩٥٣ .
- قدمت عروضها بالاسكندرية سنة ١٩٥٤،
- قدمت معرضها الأخير هذا العام بصالة مكتبة الفن بالقاهرة .







بقلم : تحسين عبد الحي

ضوء ..
على شمالي العراق

تأليف : نعمان ماهر الكنعاني

لا يستطيع المرء منا ان يكبح جماح افكاره ، عندما يحاول مناقشة احدى القضايا الهامة التي تواجه امتنا العربية في الوقت الحاضر .. لان اي قضية مهما كانت صغيرة او كبيرة فان لها كثيرا من الجذور الضاربة في مراحل متعددة من تاريخنا ، وحتى في تاريخنا الحديث ـ يرى كل الباحثين السياسيين ـ انه لاتوجد امة من امم العالم تعرض لنفس الضغوط الخارجية والمؤامرات الاستعمارية في تنقليها وضراوتها مثلما تعرضت الامة العربية في الماضي ، وما زالت تتعرض لها في الحاضر ، ولولا تاريخ هذه الامة الحافل وعظمة دورها القيادي في خدمة الانسان والحضارة البشرية على طول فترة زمنية طولها اربعة عشر قرنا .. اقول..لولا ذلك لاندثرت مقوماتها وتلاشت من الوجود تماما .. ولعل اروع ما في هذه الفترة التاريخية هو ان الامة العربية كانت وما زالت ترفض باصرار ان تكون العنصرية العرقية احد اسباب وجودها.. وسار العرب طوال تاريخهم الحضاري الحافل مقتدين بسنة نبيهم العظيم ومؤسس دولتهم الخالدة محمد بن عبد الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في حديثه الشريف : الناس سواسية كاسنان المشط ، ويقول عليه السلام ، لا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى ، فمن خلال هذين الحديثين الشريفين والاف غيرهما ومن خلال دستور العرب الاول ـ القرآن الكريم ـ سارت الحضارة العربية الاسلامية منفتحة على العالم بصدر رحب وبايديولوجية انسانية سمحة .. بلا تعصب او عنصرية.شريعتها العدل والمساواة والجهاد ضد النفس وضد اعداء الحياة .. والنضال من اجل الانسان ورفاهيته .. واذا اتحنا لانفسنا ان نتكلم بلغة العصر الحاضر ـ جاز لنا القول بان الحضارة العربية الاسلامية .. كان اساسها الحب .. حب الانسان لاخيه الانسان ـ حتى النضال ضد الاعداء كان حبا ورغبة في ملاقاة الله.. وفي الطرف الاخر من العالم وفي اوربا بوجه خاص ..كانت الحضارة الغربية التي استمدت اصولها من الحضارة الاغريقية تقف على النقيض تماما من ذلك ـ هي حضارة عنصرية ـ تتسم في اصولها الاغريقية بالخشونة والعنف والتباهي بالقوة الجسدية .. فحروبهم مجازر ، ومصارعاتهم الرياضية مذابح ، وفروسيتهم غلظة وقسوة ، وشجاعتهم عنف وبطش . اما الشفقة والرحمة والمغفرة ـ التي نمجدها نحن فانها عندهم صفات تحط من صاحبها بدلا من ان ترفع قدره ـ لانها تدل عندهم على الضعف والعجز والجبن .

وتاريخ الامة العربية منذ خروج العرب من اسبانيا الى الحروب الصليبية الى الحروب الاستعمارية .. كله في حقيقته صراع بين حضارتين تواجهان الانسان باسلوبين متناقضين تماما .. ولاسباب معينة لسنا بصدد شرحها الان استطاعت الحضارة الاوربية ان تتفوق حضاريا .. ومن ثم سادت مفاهيمها ونظرتها العنصرية للانسانية .. وتستغل الحضارة الاوربية الاستعمارية هذه النزعات والمفاهيم العنصرية في كل ارجاء العالم وفقا لمصالحها .. وفي الحدود التي تخدم اغراضها الاستعمارية ..

وما دمنا هنا بصدد بحث الوضع في شمال العراق .. في ضوء ما يسمونه بالوطنية الكردية فاننا يجب ان نكون ابعد نظرا لكي نستطيع ان نعرف الاوضاع على حقيقتها ..

وسوف اطرح هنا سؤالا ربما كان على صلة بموضوعنا ، وهو :

هل فكر مناضلنا العظيم صلاح الدين الأيوبي وهو يقود جيوشه ضد الصليبيين لحماية الحضارة العربية الاسلامية ـ في اصله الكردي ؟

وهل فكرت جماهير قواته المناضلة في ذلك .. وهم العرب المسلمون ؟

وهل فكر مؤرخو العرب على اختلاف الوانهم ونزعاتهم ان يخرجوا مناضلنا العظيم صلاح الدين ـ من زمرة قواد شعبنا الرواد امثال خالد بن الوليد .. الذين يعتز العربي مهما كان والى كان بشرف الانتماء اليهم ، بحجة انه كردي ؟

بالطبع لا .. فكلنا يؤمن بان روح الفروسية عند صلاح الدين ليست هي خاصية النبل الشخصي النادر ، بل هي اساس الاخلاق السامية في الاسلام ، ومرحلة النضال التي قادها صلاح الدين ضد الغزاة الاوربيين بمحتوياتها العسكرية والانسانية نعتبرها جميعا جزءا من تاريخنا المضيء وجزءا من حركة شعبنا البطولية ضد اعدائه واعداء حضارته .

فاين اذن تكمن مشكلة ما يسمونه بالقضية الكردية في الوقت الحاضر ؟

ان الجميع يعرفون – وحتى الاستعماريين انفسهم – يعلمون تماما ان الوطن العراقي منذ عهد العباسيين حتى الآن وحدة واحدة يعيش فيها العرب والاكراد رغم قلتهم العددية في صفاء ووئام ولا يعكر صفاء هذا الامن عادة الا بعض عصابات السطو والسرقة في المناطق الشمالية – تماما – كما يحدث في اي منطقة وعرة التضاريس – معظمها جبال مرتفعة وهضاب مترامية الاطراف . فهل يمكن ان تكون هذه العصابات في يوم ما – عصابات وطنية؟

اننا نعلم جميعا ان كل العصابات في العالم تقوم اساسا من اجل النهب والسلب والاغتصاب بطرق العنف المعهودة .. وذلك طلبا للمال .. فاذا وجدت اي من هذه العصابات من يدفع لها من الخارج لكي تقول اي شيء فان هذا القول في الواقع قد كفاها مؤونة العمل والجرح في مناطقها القاحلة .. وانا شخصيا ارى ان هذه العصابات هي جماعة الملا مصطفى البرزاني – والممول الخارجي هو الاستعمار التآمر على امتنا العربية .

وذلك لايماني الشخصي بان عصابات آل كابوني – وجـون بيرش الامريكيتين لو استطاعت كل منهما ان تحصل على الاموال التي تسلبها من الشعب الامريكي – عن طريق دولة خارجية – ولتقل انها روسيا على سبيل المثال .. فانني اجزم بان هـذه العصابات سوف تنتحل فورا الصفات والملامح الماركسية ما دام التمويل قائما بصورة منتظمة .

فاكراد ايران ليس لهم وجود – وكذلك اكراد تركيا – ثم اكراد روسيا كلهم مندمجون في مجتمعاتهم ولهم تسميات متعددة مثل اتراك الجبال في تركيا .. الخ .

اذن فما معنى ان يتقول الملا مصطفى البرزاني وعصابته بما يسمى بالوطنية الكردية ؟

الان عرب العراق لم يعاملوا اخوانهم الاكراد بقسوة وعنف شديدين كاقلية محتقرة مثلما عامل الاتراك والايرانيون والروس الاكراد هناك ..

رغم ان ١/٨ الاكراد الموجودين في العالم يوجدون في العراق. صحيح ان عرب العراق عندما يجعلون اخوانهم الاكراد يتكلمون بلغتهم ويلبسون لباسهم ويتمتعون بكافة الحريات الاقتصادية والمدنية في داخل العراق .. اقول عندما يفعل عرب العراق ذلك فانما يصدرون عن انفسهم وعن دينهم الذي يامرهم بالمساواة وليس عن اي شيء آخر . وعرب العراق كاي جزء من اجزاء شعبنا العربي عندما يعطون كلمتهم فانهم يحترمونها ويناضلون من اجل احترامها في الحدود التي تضمن وحدة التراب العراقي من اية نزعات قبلية اجرامية تحركها مصادر خارجيـة معروفة . فاذا كان شاه ايران قد اعلن انه سوف يحارب الوحدة العربية والامة العربية – وهو يحاربها فعلا في اليمن باموال وسلاح الحلف المركزي الاستعماري .. فهل تسمح له ان يهدد وحدة الوطن العراقي بنفس الاساليب ؟ واذا كان الامر كذلك فان ضرورات الامن الحيوية لعراقنا الحبيب تفرض على كل من يهمه الامر ان يقوم بحماية تسعة اعشار الاكراد المسالمين من عصابات البرزاني ومموليه – كما يقوم اي بوليس في العالم بحماية ارواح المواطنين وممتلكاتهم من العصابات .

ان الموضوع دقيق وهام وطويل ولو اردنا ان نبحثه لاستنفدنا اكثر صفحات الرسالة – التي يربطها بالعراق وشعب العـراق عربا واكرادا الكثير من مظاهر الحب والمشاركة في الماضي القريب والحاضر المشرق .. فالرسالة في العراق شماله ووسطه وجنوبه –اخوة واصدقاء وابناء – تهيب بهم ان يقفوا صفا واحدا للنضال من اجل وحدة الوطن العراقي في نطاق الدولة العربية الواحدة وضد كل انواع التآمر الخارجي سواء اكان موجها من الغـرب ام من الشرق .. ليبقى في النهاية العراق الموحد – ضمن الوطن العربي الاسلامي الموحد .

وكتاب اليوم .. ضوء على شمال العراق – يلقي الضوء على طبيعة ما يسمونه بالمشكلة الكردية – التي اتحد الشرق والغرب على الدعاية لها وتمويلها .

يقول الكتاب :

ان عدد الاكراد في العراق لا يزيد عن المليون نسمة من اصل عدد السكان الاجمالي الذي يبلغ سبعة ملايين نسمة اي حوالي ١٦٪ من عدد السكان وتبلغ مساحة المنطقة التي يقطنون فيهـا ٥٠٠ر٥٢ كم مربع من اصل مساحة العراق التي تبلغ ٤٥٢ر٢٦٤ كم مربع اي بما يساوي ١/٩ مساحة الوطن العراقي ويبلغ الانتاج الكلي للمنطقة التي يسكنها الاكراد حوالي ٥٪ من الانتاج العراقي – ولم يعامل الاكراد في العـراق كاقلية مضـطهدة – ولكنهم كانوا دائما ممثلين في كل الوزارات التي حكمت العراق في العهـد الوطني بل ان بعض الوزارات العراقية قد الفت برئاسة وزراء اكراد مثـل وزارة نور الدين محمود – ووزارة احمد مختار بابان .

واذا تخطينا قمة الهرم القيادي الى المراكز الاخرى الحساسة مثل المراكز العسكرية والمدنية نجد ان قادة الفرق في اغلب الاوقات كانوا من الضباط الاكراد وكذلك رؤساء اركان الجيش مثـل الفريق بكر صـدقي والفريق امين زكي سليمان وفي المناصب المدنية شغل الاكراد مناصب كبرى كالمتصرفيات التي بلغ عددهم فيها في بعض الاوقات عشرة مناصب من مجموع المتصرفيات العراقية البالغ عددها اربعة عشر متصرفية .

اما بالنسـبة لبقية الوظائف الحكومية كمـديريات الشرطة ومديريات التربية والمديريات العامة بل بقيـة الوظائف فقـد تجاوزت نسبتهم حسب ادق الاحصائيات التي اظهرتها الجداول الرسمية الثلاثة والعشرين بالمائة ٢٣٪ من مجموع وظائف الدولة. وهذه النسبة في التـوظف وتولي الوظائف الحساسة والمناصب الرفيعة تعطينا فكرة عن مدى تمتع الاكراد بنصيب لم يتمتع به العرب في العراق بالنظر الى نسبتهم العددية.. اما اذا نظرنا الى الحقوق الاخرى التي يطيب لمثيري القضية التحدث عنها فاننا نجد ان اللغة الكردية هي اللغة الرسـمية في منطقة الاكراد بالعراق فهي لغة التدريس في المدارس ولغة المرافعة في المحاكم ولغة التعامل في كل امر من الامور .

اما الزي او اللباس فهو الآخر متروك لمن يريد التزيي به او ارتداءه لا من الاكراد فقط بل من جميع سكان العراق شأنه شأن الزي العربي او الغربي فالناس يلبسون ما يشاؤون مثلهم حين ياكلون ما يطيب لهم .

وحرية الاقامة والسكن هي الاخرى في متناول يد الاكـراد الذي ضمن لهم الدستور العراقي طوال الحكم الوطني في العـراق الحريات العامة كالسكن والعمل والتنقل .. الخ .

فاذا نظرنا الى اكراد تركيا وعددهم ضعف اكراد العراق اذ يبلغ ٢٫٦٤٠٫٠٠٠ نسمة ، نجد ان تركيا قد عمدت الى اجلاء الاكراد عن مناطقهم واسكنتهم مناطق غيرها . وحذفت اسم اكراد من قاموسها ووضعت مكانه اسم « اتراك الجبل » وازالت اللغة الكردية من الوجود التركي كلية فليس فى طول تركيا وعرضها من يدرس او يترافع او يؤلف او يطبع او ينشر باللغة الكردية – ولا يوجد فى جهاز الدولة وزير لانه كردى او ضابط باسم كردى او موظف او نائب يحمل غير صفة المواطنة التركية .

ولا تعترف ايران وبها ١٫٧٦٠٫٠٠٠ كردى بوجود ما يسمى بالاكراد .

وتعتبر ايران كل سكانها من الفرس الآريين سواء أكانوا من سكان المدن ام الريف ام الجبال . واى مقارنة بسيطة بين نظرة كل من تركيا وايران الى الاكراد الموجودين فى كل منها وبين الاكراد العراقيين نرى الفرق الواضح . نرى افساح المجال امام الكردى العراقى فى كل ناحية من نواحى الحقوق من لغة وادارة واقتصاد وعمران وتوظف الخ .. وبين الكردى الذى لا يجد شيئا من هذا فى اى بلد آخر غير العراق .

ومع كل هذا يشهر طلاب الزعامة الذين يستوحون التوجيه من اعداء الوطن ويطلبون السلاح المرة تلو الاخرى – ليهدموا ويحرقوا ويقتلوا ويأسروا وينهبوا باسم الحقوق الكردية المهضومة هذه الحقوق التى ان هضمها احد فهم هؤلاء المتمردون الذين لم يلتفتوا يوما الى ما يصيب الفلاح الكردى او المزارع الكردى او العامل او التاجر او اى مواطن كردى آخر نتيجة لهذه الثورات وهذا التمرد المسلح المستمر .

ولقد استطاعت الدعاية الاستعمارية ان تخلق من الملا مصطفى البرزانى قائدا لاكراد العراق .. ولكن ذلك البرزانى المتآمر والعميل الاستعمارى لا يزيد عن كونه رئيس عشيرة واحدة من عشائر الاكراد الكثيرة . ومعظم رؤساء هذه العشائر يتمتعون بالسلطة والسمعة الحسنة والمكانة المرموقة بين اكراد العراق وهم يتزعمون قبائلهم وعشائرهم بوعى كامل .. بل هم الذين يغير عليهم البرزانى دائما بقصد السلب والنهب – اى على اكراد مثله .. وهذه القبائل وهؤلاء الزعماء يدركون الامر ادراكا سليما مستمدا من الواقع العراقى ويتجاذبهم عاملان : الاول : احساسهم بان كياناتهم يتعرض الى لعبة خطرة لا ينتج عنها لو قدر لها ان تستمر الا الخراب والدمار والفسق والفاقة والتخلف وهم لهذا يشجبون جميع المحاولات الرامية الى وضعهم فى حالة كل ما فيها يدل على الضياع والقلق والاضطراب . ومن لم يقف معظم الاكراد ما عدا عصابته التي تعودت الحياة بلا عمل سوى السلب والنهب والتدمير – يقفون جميعا ضد اطماعه وزعامته الموهومة .. والذى يحز فى نفوس اكراد العراق فعلا انهم يعرفون الملا مصطفى البرزانى قبل التجائه الى الاتحاد السوفيتى – سفاحا ولصا ومخربا ولكنهم رأوه بعد عودته وهو يحمل لقب جنرال فى جيش الاتحاد السوفيتى – وقد احاطته الدعاية بهالة من التزييف مثل اعداله التحررية وغيرها من الدجل الدعائى . ويعرف اكراد العراق ان الملا مصطفى البرزانى عندما كان يسطو وينهب الناس فى الطرقات وهو عاطل عن العمل توسط له اناس من قومه فعينوه فى وظيفة (ساع) وبراتب قدره خمسة دنانير شهريا .ولا يعلم اكراد العراق كيف يتحول هذا الساعى اللص الى مجاهد وطنى .. فى الوقت الذى يحصل فيه على السلاح والاموال لكى يقتل اخوانه ومواطنيه الاكراد الذين يقفون فى وجه اطماعه .

والاكثر من ذلك ان اكراد العراق يعتبرون الملا مصطفى البرزانى خائنا قوميا للوطن العراقى . ففى الوقت الذى كان العراق عربا واكرادا يقاومون فيه الحكم الاستعمارى فى العراق كان البرزانى يراسل ضباط الاحتلال البريطانيين لدرجة انه قال لاحدهم فى رسالة له مؤرخة بتاريخ ١٩٤٣/١/٣ :

« انه لا يريد الا رضاءه واسترجاعه واذا امر فهو يشعل نارا ويرمى نفسه فيها – وحاضر للخدمة وليس له رجاء الا مقام فخامة المستشار والامر امر سيدى الافخم » .

ومن رسالة اخرى الى الكولونيل البريطانى ميد يقول الملا مصطفى :

« والله وبالله وتالله انى طالب من جلالة بريطانيا العظمى ومن حضرتكم وعدالتها جميع حوائجنا من الوجوه – وهى – اى بريطانيا – امنا الشفوقة ونحن اولادها » .

ولا يعلم اكراد العراق قبل عربه كيف يتحول هذا الخائن اللص الى مناضل بفعل الدعاية الاستعمارية المتآمرة !

ويذكر الكتاب بعد ذلك نصوص البرقيات التى ارسلها جميع مشايخ وزعماء الاكراد الى السلطات العراقية يطالبون فيها بحمايتهم هم ونسائهم واموالهم من عصابة البرزانى – تلك البرقيات التي تحمل فى طياتها طلب العون لكى لا يتركوا وحدهم امام عصابات مسلحة وممولة تمويلا خارجيا رهيبا .

وبعد : فاذا كان يحلو للدعاية الاستعمارية ان تهلل للملا مصطفى البرزانى على اساس هش من الاكاذيب والاوهام لكى يوجدوا فى النهاية ما يسمى بمشكلة الاكراد فان هؤلاء الاستعماريين لا يعرفون حقيقة الاوضاع القائمة فى العراق . واذا كان يخيل اليهم ان كل شعوب العالم تعيش فى ظل اوضاع عنصرية مقيتة كالتى يعيشون عليها فى قلب الولايات المتحدة – وموقف شعبها من السود ، فقد غاب عنهم ان شعب العراق بعربه واكراده ينتمون الى امة واحدة وحضارة عربية اسلامية واحدة عرفت ما لها من حقوق وما عليها من واجبات تجاه مواطنيها على اختلاف الوانهم واصولهم . وشعبنا العراقى البطل يعرف من هم اعداؤه ومن هم اصدقاؤه – وسوف تستمر الحياة وتنتصر ارادة السلام والعدل فوق ارض عراقنا الحبيب رغم كل المؤامرات الخارجية مهما كان مصدرها ... ولن تقف اى قوة فى الارض مهما كانت امام الوحدة الوطنية لشعب العراق الذى ينشد الوحدة العربية الشاملة فى اطارها التقدمى الاشتراكى .. بقيادة مناضلنا القومى الرئيس عبد السلام عارف .

فى الايمان والاسلام

تاليف : احمد حسين

الناشر : دار القلم ..

يحمل الدين الاسلامى الدعوة الى السلام العالمى والاخاء البشرى والتوحيد بين الأمم والشعوب على اختلاف مشاربها واجناسها وعقائدها والوانها ـ بل واديانها ـ ومن اثر الايمان اوضح المؤلف كيف أن الرقى والحضارة الانسانية كانت دائما ثمرة من ثمرات الايمان الذى يعتبر ينبوعا للعظمة الشخصية • ويحتوى الكتاب كذلك على موضوعات هامة منها موضوع الايمان ومحوره، والايمان وصوره الأولى ، والأنبياء والرسل ، والقرآن والوحى والاسلام كسائر الأديان •

واختتم المؤلف كتابه بتوضيح موقف علماء الغرب من الحضارة الاسلامية مثل جوستاف لوبون وغيره من العلماء الغربيين •

ويقع الكتاب فى ٢٠٢ صفحة من القطع المتوسط •

القارب الاخير

تاليف : طه حواس

الناشر : الدار المصرية للتاليف والترجمة •

يحتوى الكتاب على مجموعة من القصص القصيرة منها قصة ام حامد التى تدور حول تجربة الوحدة الثقافية التى قامت بها وزارة الثقافة فى كفر الشرفا • هذا الى جانب قصص أخرى منها قصة : البيت القديم ، وفيضان ، وغضبة الشيخ ، والقارب الأخير ، والأسطى صابر .. ويقع الكتاب فى ٢٣٤ صفحة من القطع الكبير •

الصراع الطبقى وقانون التجار

تاليف : ثروت انيس الاسيوطى

الناشر : دار النهضة العربية

ينقسم الكتاب الى قسمين .. القسم الاول يتعلق بنشأة قانون التجار باعتباره مجموعة من الانظمة تحمى مصالح الراسماليين •

ويدرس فيه المؤلف ـ الصراع بين التجار والاقطاع فى القرون الوسطى فى القارة الاوربية وعلى الأخص فى شمال ايطاليا ، ويبين كذلك ما اذا كان لهذا الصراع أثر على نشأة قانون التجار•

أما القسم الثانى..فيعالج بعض أنظمة هذا القانون ، فيوضح الظروف التى أدت الى ظهورها، والغاية منها ، ثم مدى صلاحيتها لمجتمعنا الاشتراكى • ثم تاريخ وفلسفة بعض الأنظمة التجارية•

ويقع الكتاب فى ١٧١ صفحة من القطع الكبير •

جون شتاينبك

تاليف وارين فرنش

ترجمة : الدكتورة ثور شريف

الناشر : دار الفكر العربى

يحتوى الكتاب على دراسة مفصلة لحياة وأعمال جون شتاينبك وقد حدد المؤلف قبل الحديث والتحليل لروايات شتاينبك بعض الميول التى كانت أهم العوامل فى تشكيل رواياته .. ومن هذه الميول ميله الى كتابة القصة الرمزية ، وهى الفن القديم ـ لمناقشة شىء واحد ـ ولا سيما اذا كان المفهوم مجردا أو غير مألوف • وتعرض الكتاب الى عقيدة شتاينبك ـ التى كانت تتفق اتفاقا ملحوظا مع عقيدة المتساميين الامريكيين فى القرن التاسع عشر •

وقد كان لهذه الخصائص اثر واضح على شتاينبك وعلى نجاحه الفنى وعلى فشله • وعندما زودته تجاربه الشخصية بمادة تستغرقه ، أمده ميله للقصص الرمزية بخطة ، وتفكيره غير العالى بمقدرة على الموضوعية •

ويقع الكتاب فى ٢٣٦ صفحة من القطع الكبير •

وعلى الأرض السلام

تاليف : محمد الجيار

الناشر : الدار المصرية للتاليف والترجمة

يحتوى الديوان على اثنين وخمسين قصيدة شعرية كتبها المؤلف قبل ذلك ونشرها فى أماكن متفرقة .. وقد جمعها فى ديوانه الجديد • ويقع فى ٢٠٨ صفحة من القطع المتوسط •

جاهلية القرن العشرين

تاليف : محمد قطب

الناشر : مكتبة وهبه

الكتاب كما يقول المؤلف معنى بدراسة ظاهرة الجاهلية التى يعيش فيها القرن العشرون ـ معنى بدراسة أسبابها • وملامحها، وانعكاساتها فى تصورات البشر وسلوكهم الواقعى • ونتائجها فى حياتهم • وقد أوضح المؤلف ملامح الجاهلية الحديثة ـ المتمثلة فى فساد التصور وفساد السلوك ، سواء فى السياسة أو الاقتصاد أو الاجتماع أو الأخلاق أو فى علاقات الجنس ، وضرورة العودة الى اتباع المبادئ الاسلامية السامية خدمة للتقدم الانسانى العام •

ويقع الكتاب فى ٣٥٦ صفحة من القطع الكبير •

أحمد صبرى

المصور الذى رسم لوحاته بنور عينيه

تاليف : مصطفى الجمال

الناشر : دار النهضة العربية

يتناول المؤلف بالبحث والدراسة أعمال المرحوم أحمد صبرى الفنية التى كان طابعها الرصانة واحترام العمل الفنى فقد سجل موضوعاته بعمق وتأمل وكان فنانا يميل بطبعه الى الفن الشعبى فنراه يرسم « بنت البلد » و « بائعة الجوافة » ـ « وعم سرور » وتعكس كثير من أعماله نزعته الدينية نتيجة لنشأته وتنقلاته فى حى سيدنا الحسين والسيدة زينب فذهب فى مواضيعه من هذا اللون الى ابراز التقوى والتأمل الدينى كما يبدو فى موضوع « بعد الصلاة » و « الراهبة » •

ويقع الكتاب فى ١٦٨ صفحة من القطع الكبير •

« تحسين عبد الحى »



قراءات في المجلات العربية

يقدمها محمد العوانى



● الدكتور محمد مندور :

شيعت القاهرة فى الاسبوع الماضى علما من أعلام ثورتنا الثقافية ، ورائدا من رواد الادب والنقد هو المرحوم الدكتور « محمد مندور » فقد مات رحمه الله بعد حياة حفلت بالنشاط الدائب فى ميدان الكلمة ، واستطاع أن يقدم بعد كفاح طويل كثيرا من امهات الكتب فى الادب والنقد والفن ، وأن ينشر مقالات متنوعة فى الصحف والمجلات .

لقد أحدثت وفاة الدكتور مندور حزنا عميقا فى نفوس تلاميذه وأبنائه لا فى الجمهورية العربية فحسب بل فى المنطقة العربية كلها ، ذلك أن الدكتور قدم لهذه الامة انتاجا فكريا ضخما ، وزادا ثقافيا يتمثل فى هذه المؤلفات الضخمة التى قدمها الى مكتبتنا العربية .

ان الواجب علينا ــ نحو الفقيد ــ أن نطالب بنشر ما خلفه من انتاج حتى يصبح فى متناول كل يد وحتى يمكن للاجيال القادمة ان تتدارس هـــذا الانتاج لترى فيه صور الكفاح التى مر بها الدكتور مندور طوال حياته .

لقد اهتمت بوفاة الدكتور مندور جميع الصحف والمجلات التى تصدر هنا فى القاهرة ورثاه الكثيرون ممن عرفوا فضله وأدبه ، واننا ننقل فى هذا الباب نماذج مما نشر عنه مكتفين فى ذلك بما نشر فى صحفنا اليومية .

فالدكتور طه حسين يقول عنـه : « كان مندور من أذكى تلاميذى فى كلية الآداب ، ومن انبههم مع ثلاثة آخرين من زملائه ، وكان أساتذتهم وأنا منهم نباهى بهم ، ونجعلهم مثلا لتلاميذنا . وأذكر أننا دعونا الى محاضرة فى أحد مدرجات الجامعة جماعة من خيرة الأدباء والمثقفين فلما انعقد الجمع ، وامتلأ المدرج لم يتقدم أستاذ لالقاء المحاضرة ، وانما قدمنا هؤلاء التلاميذ اليهم ، وانبأناهم بأنهـــم سيتحدثون الى المجتمعين فى موضوعات أدبية ، ليلقى كل واحد منهم كلمة فى نصف ساعة ، فتكلم الأربعة عن موضوعات الادب العربى .. وامتاز منهم مندور ، وهو الذى ظفر بالاعجاب من أساتذته ومن المستمعين ثم قال

الدكتور طه حسين : « ان الامة خسرت بوفاة مندور أديبا نابها وناقدا ممتازا من أبنائها رحمه الله » .

اما الدكتور «علي الراعي» فانه يذكر ان الدكتور مندور التزم منذ البداية بقضايا الانسان .

وان التزامه بالاشتراكية ـ ناقدا ـ قد هيأ له رحابة في الفكر والروح جعلته يدعو الى ان يلهو الانسان ويعمل ، وألهمه هذا الالتزام أن الاشتراكية ليست قيدا على روح الانسان ، وانما هي ـ على النقيض ـ وسيلة لتحرير روح الانسان من الانشغال بملء البطون .

ويقول عنه « مصطفى بهجت بدوي » : ان فقيد الثقافة والأدب والنقد الذي تولى عنا بالامس هو ذاته فقيد الحرية السياسية والاجتماعية فقد كان رائدا في المزج بين هذه المعاني جميعا وتوجيهها لهدف واحد لم يحد عنه ، هو خير الانسانية والانسان وتقدمهما وقال انه : « عشق المسرح » فكنت تراه في الصفوف الأولى دائما يشهد بداية عرض مسرحية جديدة لعله يكون رعاها من قبل وقرأها نصا ووجه مؤلفها ثم تابع بروفاتها ، وأخيرا حرص على مكانه هذا من الصفوف ليضعها في مكانها حين يكتب عنها ناقدا بأدق موازين النقد .

ويقول « سعد الدين وهبه » ان محمد مندور سيقول عنه التاريخ انه أحد رواد الصحافة الذين جعلوا من المقالة الصحفية علما يزخر بالأفكار بعد أن كان صراخا خطابيا فارغا يذهب أدراج الرياح ، وانه اذ نادى بحق هذا الشعب لم ترهبه أيام قاسية قضاها في السجن على يد جلاد كصدقي وزبانيته . وقال :

كان مندور قطعة حية من وجدان هذا الجيل ، واذا كان كثيرون من امثال مندور قد ودعوا الحياة دون أن يشاهدوا ثمار مابذروه ، فقد كان مندور واحدا من السعداء ، أتيح له أن يرى بلاده تعيش الحياة التي تمناها لها وأتيح له أن يشهد الفن والادب وقد اتخذ له طريقه في خدمة الحياة والناس ، وأتيح لمندور أن يرى في حياته اعداءه الذين ناضلوه وهم يدينون بمبادئه ويرفعون لواءه .

لقد كان مندور بطاقاته الخلاقة المتعددة وبقوة فكره وارادته أقوى من الحياة ، وهو اليوم وهو في قبره أقوى من الموت ، لأن الموت لا يحجب عنا عظمته ولن يمنع رسالته ، ولن يمحو من العقول والقلوب آثاره الباقية الخالدة .

ويقول عبد الرحمن الخميسي : مات مندور الذي آثر أن يعيش في العواصف ، وكان باستطاعته أن يحيا في أحضان الدعة والرفاهية ، والذي التزم جانب الشعب ، ووقف في صفه ضد كل ما كان يهدده من القهر الخارجي والداخلي خلال الحكم البائد .

اما « محمد زكي عبد القادر » فيقول :

كان اهم ما يميز حياة المرحوم الدكتور محمد مندور أنه جعل ثقافته وعلمه وكفاحه في خدمة المجتمع ، فربط بين وظيفته كأستاذ في الجامعة وبين هموم المجتمع الذي يعيش فيه ، وكان في مقدوره أن يحيا بين قاعات البحث والمحاضرة في الجامعة حياة هادئة مستقرة معروفة البداية والنهاية ، ولكنه آثر أن يكون في صف المقاتلين خارج الجامعة ، بل نقل الى الجامعة ـ وفي قاعات البحث والمحاضرة ـ بعض سمات هذا القتال ، واضطربت حياته تبعا لذلك ، وحورب فيها واخرج منها ، ومرت عليه فترات عصيبة ولكنه واجهها بقلب راض وجنان ثابت مؤمن .

• تراثنا بين التقدمية والرجعية :

تحت هذا العنوان نشرت مجلة « الاقلام » التي تصدر عن وزارة الثقافة العراقية نص المحاضرة التي القاها الشيخ «نديم الجسر» في مؤتمر الادباء العرب بالعراق وضح فيها أن تراثنا الاخلاقي بلغ مرتبة عالية من الكمال ، ذلك أنه ليس في تاريخنا اننا كنا اذا فتحنا مدينة نقتل جميع من فيها من الشيوخ والعجائز والصبايا والاطفال والحيوانات ، ثم نحرقها حرقا كما كان يفعل اليهود ، ولا في تاريخنا اننا عذبنا المؤمنين بالله وشويناهم بالنار لنكرههم على ترك دينهم ، كما فعل معنا في اسبانيا بعض الرهبان ، ولاحرقنا الناس بالجملة في الافران كما فعل الالمان ، ولا اهلكنا ثلاثمائة الف انسان من بني آدم من سكان هيروشيما غير المحاربين بقنبلة ذرية واحدة كما فعل الامريكان .

ان تاريخ العرب الحربي فيه الرحمة التي جعلت غوستاف لوبون « يقول لم ير التاريخ فاتحا أرحم من العرب » وفي تراثنا العدل الذي يقتل به المسلم

اذا قتل غير المسلم ، وفى تاريخنا الحرية التى يقول عنها القرآن (لا اكراه فى الدين) وفى تراثنا شرف العهد والذمة الذى جعل محمدا يقول (من آذى ذميا كنت خصمه يوم القيامة) ·

وبعد ان اورد كثيرا من هذه المعانى العظيمة التى يمتاز بها ديننا خلص الى أن تراثنا الدينى والاخلاقى يظهر بجلاء أن الرجعية التى ينسبونها الى الدين والاخلاق هى عين التقدمية كما أن التقدمية التى ينادى البعض هى عين الرجعية ·

• فى الاشتراكية العربية :

وفى «الآداب» اللبنانية بحث كتبه «فؤاد الركابى» عن الاشتراكية العربية بين فيه : ان الوطن العربى يشهد اليوم فى أكثر جزء من أجزائه تحولات اجتماعية حاسمة على طريق الاشتراكية ، وان هذه الاشتراكية لم تعد فى بلادنا مجرد حركة سياسية او تيار فكرى ، بل أصبحت تيارا حياتيا يؤثر على مجرى التطور فى بلادنا العربية ، وفى العالم بأسره ، وعلى موقف الانسان من المجتمع والحياة · وعلى صعيد التطبيق الاشتراكى يقول الكاتب: ان مراعاة بعض الظروف الاقليمية لدى الشروع فى تطبيق النظرية الاشتراكية العربية لا يعنى تفتيت هذه النظرية وتحويلها الى عدد من النظريات تختلف باختلاف الاقاليم ، بل على العكس من ذلك ، انها على المستوى النظرى كما هى على المستوى التطبيقى تواجه اليوم مشكلة خاصة بها هى مشكلة الواقع العربى بما فى هذا الواقع من ظروف وشروط أملتها التجزئة وما نجم عنها من ظروف واوضاع اقليمية متفاوتة ، ومن اهم مهمات النظرية الاشتراكية العربية أن تواجه هذا الواقع وأن تضع له الحلول باعتبارها نظرية اشتراكية عربية قادرة على حل جميع مشكلات الواقع العربى وتخطيطها وتصفية جميع الفوارق الاقليمية من أجل اقامة المجتمع الاشتراكى العربى الواحد بقيمه ومفاهيمه ومؤسساته الاشتراكية الواحدة الكبرى ·

ثم تناول نظرة الاشتراكية العربية للانسان وتقديرها له ، فبين أنها بأهدافها ومضامينها القومية الانسانية لم تجعل الانسان مجرد «آلة فى جهاز الانتاج مهمتها العمل والعمل الآلى فحسب ، بل أنها وان كانت تعتبر العمل وسيلتها للتقدم والنهوض الا أنها لا تجرد العمل من جوهره الانسانى الخلاق ·

• اللغة العربية فى غانا :

وفى مجلة « رابطة العالم الاسلامى » التى تصدر بمكة المكرمة فى عددها العاشر مقال ذكر كاتبه أن المؤرخ الانجليزى« ارنولد توينبى» توقع مولد حكومة عالميــة لكن الذى يعترض ذلك هو تسلط الروح القومية على الافراد والامم · وعلق الكاتب على هذا مبينا أن كثيرا من أصحاب المذاهب يحاولون نشر مذاهبهم بشتى الطرق ، لكنهم لن يصلوا الى شىء مما يريدون ، ويرجع ذلك الى أن بعض هذه المذاهب لا يقيم وزنا للانسان ويقتل فيه روح الطموح والتنافس ويعتبره آلة صماء كما أن بعضها الآخر لا يحقق للانسان ما يبقيه ، فهى تقيس الاشخاص بقدر ما يملكون من مال ولا تنظر الى قيمهم الاخلاقية · ويذكر المقال أن العلاج الوحيد لهذا الفراغ الذى يوجد فى العالم هو دين الاسلام ، فقد جاء الى الناس كافة لا فرق بين لون ولون وجنس وجنس ومذهب ومذهب ووطن ووطن ·

واستطرد بعد ذلك موضحا ان اللغة العربية وهى لغة القرآن ـ تمتاز بانها لغة غنية بمفرداتها واساليبها واشتقاقاتها وسهولة الفاظها وتراكيبها ، فهى لذلك قابلة لأن تكون لغة عالمية ، فهناك شعوب كثيرة كانت لها لغات متعددة صارت اليوم تتكلم بلغة مشرقة واحدة هى اللغة العربية وتدين بالاسلام لاترضى عنه بديلا . وفى الوقت نفسه لم تفلح دعايات المبشرين والمستعمرين الصليبيين والشيوعيين والصهيونيين وغيرهم لتثنيهم عن دينهم وتبعدهم عن لغتهم العربية،واستدل الكاتب على قيمة هذه اللغة بما نشر فى جريدة «الندوة» الصادرة فى ١١ شوال ١٣٨٤ من ان غانا قررت تدريس اللغة العربية فى المدارس الحكومية واعتبرتها لغة رسمية ، ويقول نيكروما رئيس جمهورية غانا ، ان الحكومة لم تقرر اعتبار اللغة العربية لغة رسمية اعتباطا ، ولكنها رات فيها السهولة والغنية واستيفائها لما يطلب فى لغة عظيمة راقية ·

« محمد العوانى »

من ملحمة عمر

سر المقوقس

مسرحية بقلم : علي أحمد باكثير

المشهد الثالث

في بيت الهاموك حاكم دمياط

هيلانه : كلا لا تأذن له يا هاموك ٠ يجب أن يبقى عندنا ولو يوما آخر ٠

الهاموك : ماذا أصنع له يا عزيزتي هيلانه ؟ أنه لا يحب دمياط فهو يرى البقاء عندنا كأنه سجن ٠

المقوقس : والله لا أجد الراحة والأنس الا عندكم هنا في دمياط بعيدا عن متاعب السياسة واعباء الحكم ٠

الهاموك : لعل طعامك يا هيلانة هو السبب ٠

هيلانه : طعامي يا قيرس أصبح لا يعجبك ؟

المقوقس : لا والله يا أختي ما زال الطعام الذي آكله من يدك أشهى طعام في الدنيا الي ٠

هيلانه : فما الذي يعجبك اذن ؟ الانا لم نقض شوقنا بعد منك ٠

المقوقس : يا هيلانه يا أختي العزيزة ٠ لو أقمت عندكم شهرا بأكمله لكان عندي مثل يوم واحد ٠ والله والله اختلست هذه الأيام الثلاثة التي قضيتها عندكم اختلاسا ٠

الهاموك : أستكثرتها علينا يا قيرس ؟

المقوقس : معاذ الله ولكن ما كان لي أن أبرح حصن بابليون يوما واحدا في مثل هذا الوقت العصيب ٠

هيلانه : بت هذه الليلة عندنا وسافر غدا في أول الصباح

المقوقس : لا أستطيع يا هيلانه : يجب أن أكون مساء غد في حصن بابليون ٠

هيلانه : أين شطا وارمانوسة فيمنعاك ؟

المقوقس : كلا لن يمنعاني ٠ انهما يعلمان عذري ٠

الهاموك : ها هما قد أقبلا ٠

(يدخل شطا وارمانوسة)

هيلانه : أين كنتما ؟ ألا تعلمان أن خالكما سيرحل عنا عصر هذا اليوم ؟

ارمانوسة : كلا يا خال ٠٠ ينبغي أن تؤجل سفرك ٠

المقوقس : لا أستطيع يا أرمانوسة ٠

ارمانوسة : ولو ليوم واحد ٠

المقوقس : ولا ليوم واحد ٠

ارمانوسة : من أجل شطا يا خال ومن أجلي ٠

شطا : أجل يا خال ٠ من أجلنا نحن الاثنين ٠

المقوقس : كنت أنتظر منكما أن تكونا عونا لي لا عونا علي ٠

شطا : تكلمي يا أرمانوسة ٠

ارمانوسة : تكلم أنت ياشطا ٠

شطا : اعلم يا خال واعلم يا أبي واعلمي يا أمي ان ارمانوسة بنت ارمانوس وشطا بن الهاموك قد اتفقا على أن يعقدا زواجهما في الكنيسة اليوم ٠

الثلاثة : (في صوت واحد) اليوم ؟

شطا : اليوم أو غدا أو بعد غد كما تحب يا خال ٠٠ قبل سفرك على كل حال

هيلانه : فليكن بعد غد يا ولدي حتى نستعد ٠

ارمانوسة : أو غدا ياخالتي حتى لانؤخر خال كثيرا عن سفره

الهاموك : ما بالك لا تجيب يا أخي البطريق ؟

المقوقس : ماذا أقول ؟ هذه مفاجأة غير منتظرة ٠

شطا : هذا هو الحل الوحيد لمشكلتنا ٠

ارمانوسة : فكرنا طويلا فلم نجد لها حلا سواه ٠

المقوقس : ودومنتيانوس هل نسيتما دومنتيانوس ؟

شطا : هذا الرومي الدخيل هو الذي دفعنا الى ذلك ٠

الهاموك : تريد يا ولدي أن تتحداه ؟

شطا : نعم ٠

المقوقس : وهل فكرتما في أمري حينما قررتما ذلك ؟ ألم تعلما أن ذلك سيعرضني لسخط قيصر ونقمته ؟

ارمانوسة : ليس لقيصر أن يتحكم أيضا في شئوننا الخاصة٠ أنا لست أمة له فيهبني لدومنتيانوس ٠

المقوقس : وما حيلتي يا ابنتي ؟ لقد طلبك بنفسه لدومنتيانوس فهل كان في وسعي أن أرفض طلبه ؟

شطا : نعم كان عليك أن ترفض طلبه ٠

ارمانوسة : أو تقول له على الأقل أن الأمر في يدي أنا ٠

المقوقس : يا ولدي العزيزين ٠ انكما لا تعلمان في أي وضع كنت أنا ذلك اليوم ٠ لقد اتهمني البطريق سرجيوس علنا في مجلس قيصر بأني أحن الى قومي القبط واني أمالئهم على الروم ٠ كل ذلك لأني طالبت برفع الاضطهاد الديني عن القبط ومنحهم حرية العقيدة لئلا ينضموا الى العرب اذا جاءوا يغزون مصر ٠

الهاموك : وكيف تخلصت من تلك التهمة يا قيرس ؟

المقوقس : قلت لهم : هل تعرفون أحدا من الروم اضطهد القبط مثلي قط ؟ فكأنما ألقمتهم حجرا ٠

الهاموك : صدقت . والله انك لبارع .

المقوقس : اكان في وسعي يومئذ أن أرد طلب هرقل ؟ اذن لأثرت الشبهة في نفسي ولكنت سرجيوس والأطربون وتيودور وغيرهم من بلوغ ما يشتهون . واذن لحيل بيني وبين هذا العمل الذي أقوم به اليوم سرا لتحرير القبط من ظلم الروم والمحافظة على حقوقهم عند العرب .

ارمانوسة : والله يا شطا ان خالنا لمعذور .

شطا : أجل كان له عذره في القسطنطينية يومذاك ولكن ما عذره اليوم ؟ ماذا يخشى اليوم من قيصر ؟ أيخشى ان يعزله ؟

المقوقس : نعم .

شطا : ألست تقول انك تريد أن تكفر عن سيئاتك التي ارتكبتها في حق القبط ؟

المقوقس : بل ومن اجل ذلك اخشى ان يعزلني هرقل ويقصيني من مصر ويولي امرها لأحد قواد الروم وربما لدومنتيانوس نفسه .

شطا : (ثائرا) اذن والله لا ينجو مني أبدا . لأقتلنه ولو كان بين رجاله .

الهاموك : ماذا تقول يا ولدي ؟ أفقدت عقلك ؟

المقوقس : كنت اظن يا شطا انك تكره الروم جميعا فاذا انت تكره دومنتيانوس وحده .

شطا : كلا لست اكرهه وحده . اني اكرههم جميعا . أشتهي أن أغمض عيني ثم أفتحها فلا أرى روميا واحدا على أرض مصر .

المقوقس : اذن فعلينا ان نعمل بحكمة وأناة ولا نتهور أو نتسرع فنخسر كل شيء . اني أملك سلاحين ماضيين في معركة تحرير القبط هما ثقة قيصر وحكم البلاد . فكيف تريد مني ان اعلن زواجك بارمانوسة فأخسر هذين السلاحين الماضيين ؟

هيلانه : اسمع كلام خالك يا شطا فانه اعرف بهذه الأمور منك .

المقوقس : كلا اني اريد أن يقتنع شطا بكلامي لا أن يطيعني طاعة عمياء .

شطا : ماذا ترين يا ارمانوسة ؟

المقوقس : ثق يا ابن خالتي اني ساكون لك ولن أكون لغيرك أبدا . وسأنتظرك مهما يطل الانتظار .

شطا : وتبقين هنا عند أمي ؟

ارمانوسة : وخالي ياشطا من ذا يعنى به في بيته ؟

شطا : لن يطمئن قلبي الا اذا بقيت هنا في دمياط .

ارمانوسة : أتخاف علي بعد من دومنتيانوس ؟

شطا : نعم . من يدري ؟

ارمانوسة : لا تخف يا شطا فاني أستطيع أن أحمي نفسي .

شطا : انه يجيد الغزل وأنت تحبين كلمات الغزل .

ارمانوسة : اطمئن يا ابن خالتي . هذه تدخل من احدى أذني وتخرج من الأذن الاخرى .

شطا : ما زلت أخاف عليك يا أرمانوسة .. من شيء آخر ..

ارمانوسة : من أي شيء ؟

شطا : من حكمة خالي وأناته .

المقوقس : (يضحك) اطمئن يا بني فان حكمتي وأناتي ستكونان دائمالك لا عليك . لا بأس يا أرمانوسة ابقي هنا عند خالتك وان كان بيتي في اشدالحاجة اليك . ان ابن خالتك محب والمحب دائما ينتحل الأعذار لتكون حبيبته الى جانبه .

ارمانوسة : كلا يا خال انه لن يقيم معنا في دمياط .

الثلاثة : (في صوت واحد) ماذا تقولين ؟

ارمانوسة : اسألوه .

شطا : أجل اني راحل .

الثلاثة : الى أين ؟

شطا : الى الفرما .

هيلانه : ماذا تصنع هناك ؟ هناك الحرب . العرب هناك يحاصرونها .

الهاموك : اتريد أن تقاتل معهم ؟

هيلانه : اياك يا ولدي ان تفعل . ليس لي غيرك يا شطا فلا تجعلني الثكلاء .

شطا : كلا يا أماه لن أشترك معهم في القتال ولكني سأدلهم وأرشدهم وأعاونهم جهدي وأدعو الناس الى معاونتهم بكل سبيل .

الهاموك : وأي فرق بين ذلك وبين القتال ؟ ويلك ماذا يكون مصيري اذا بلغ القيصر أن ابن عامله على دمياط قد انضم الى أعدائه الغزاة ؟

شطا : اطمئن يا ابي فلن يعلم أحد انني ابنك . سأتخذ لي اسما آخر لا يمت الى الهاموك بصلة .

الهاموك : مثلك يا ابني لا يمكن أن يخفى امره هناك ، وللروم عيون وجواسيس في كل مكان .

شطا : اذن فأيقن يا ابي أن أحرى أن يبلغ قيصر الا وقد شغلته أنباء أخرى أفدح وأخطر .

الهاموك : ماذا تعني ؟

شطا : أعني انتصار هؤلاء العرب وهزيمة الروم .

الهاموك : وما يدريك ؟

شطا : عجبا أو تشك يا أبي بعد في ذلك ؟ ألم تر ما حدث للروم في الشام وكيف نفخ في أهل مصر روح الأمل في الخلاص ؟ انظر الى .. ماذا ترى يدفعني الى مساندة هؤلاء العرب . وأي شيء يربطني بهم ؟

الهاموك : اسأل نفسك .

شطا : لاشيء غير الحقد على الروم والرغبة في الخلاص من حكمهم . هذا وأنا ابن الهاموك عامل قيصر على دمياط ، وابن أخت المقوقس واليه على مصر ، فما ظنك بالذين لا يدينون لقيصر الا بالظلم والاضطهاد من سواد هذا الشعب ؟

« علي احمد باكثير »

قصة قصيرة من الأدب الباكستاني

أغنية بيهوليا

تأليف : زينب غلام عباس
ترجمة : فوزي عبد القادر الميلادي

في القرن السادس عشر الميلادي كان ميناء سافيابور الذي يقع على ساحل الباكستان الشرقي مركزا هاما من مراكز التجارة في الشرق . وكان الميناء مملوكا لتاجر اسمه «مانيكاه» يعيش عيشة ناعمة مترفة .

وكان للتاجر ولدان ، ابن وبنت .. الولد اسمه «امبره» مثقف كريم الخلق خبير بأسرار مهنة أبيه .. الابنة «بيغالاه» على عكس اخيها تماما مغرورة عاطلة كما كانت قبيحة المنظر .

وذات يوم خرج الابن في رحلة صيد وقد نصحه ابوه قبل أن يبحر بأن يكون قريبا من الشاطئ، حتى يأمن غوائل البحر ، ولكن الفتى وقد تملكته الرغبة في المغامرة امر قائد السفينة بأن يترك الشاطئ، ويتوغل في البحر .. وان هي الا ساعات حتى هبت عاصفة وعلا الموج وظلت السفينة مدة يومين وليلتين كريشة في مهب الرياح وفي صباح اليوم الثالث هدأت العاصفة وألقت السفينة مراسيها على شاطئ، جميل تحيط به حديقة غناء تصدح فيها الطيور .

وعلى احدى الأشجار أبصر «امبره» طائر « المانا » أحد الطيور النادرة فجالت في صدره رغبة في الحصول عليه ولكن الطائر افلت منه فأطلق عليه سهامه وأصابه اصابة قاتلة .

وكان هذا الطائر أثيرا لدى فتاة من اسرة كبيرة اسمها «بيهولياه» لها سبعة اخوة وقد جزعت الفتاة لمقتل الطائر وعندما علم اخوتها أن تاجرا من بلد أجنبي هو الذي ارتكب هذه الجريمة استشاطوا غضبا وأسرعوا اليه وأودعوه السجن ووضعوا فوق صدره حجرا ثقيلا .

وغير بعيد من السجن كانت تعيش الأرملة والدة الفتاة واخوتها وكانت تسمع من وقت لآخر تأوهات الشاب الصغير فرثت لحاله وتوجهت اليه في السجن وسألته عن قصته .. من انت ومن أين أتيت ومن هم اهلك .. فروى لهـا قصته فاستدعت أبناءها السبعة على الفور وأمرتهم أن يطلقوا سراح الفتى :

ارفعوا الحجر من فوق صدر ابن اختي .. انه ابن اختي التي تزوجت من تاجر سافيابور ..

واطلق سراح «امبره» وقدمت له الاعتـذارات الكافية وأحيـط بمظاهر الرعاية والكرم .

واخبرت الأم ابناءها أنها كانت تعاهدت مع أختها منذ الصبـا على أن من تلد منهما بنتا تزوجها لابن الأخرى .. ورحب الجميع بذلك وزفت «بيهولياه» الى «امبره» وقالت له امها وهي تودعها : ان ابنتي جوهرة فاحرص عليها فطمأنها بأنهما سيعيشان في سعادة وهناءة وأبحر الى بلده وعندما علم الأهالي بأن «امبره» عاد مصطحبا عروسه سارعوا الى الميناء لتحيتهما وقد بهرهم جمالها .

وكانت والدة «امبره» سعيدة باستقبال العروس وتذكرت عهدها السابق مع أختها .. كما سر والده وجميع الأهل بهـذا الزواج اما شقيقته «بيغاليا» التي تجاوزت سن الزواج وكانت مبغوضة من الجميع فقد شعرت بالغيرة تأكل قلبها .

وبعد شهور أسرت الى والدتها : ان السفن تكاد تصدأ في الميناء والبحارة يتقاضون اجورهم سدى و «امبره» ينعم بظلة الراحة والكسل .

وظلت تعيـد هذا الحـديث على مسامعها مرة ومرات حتى اضطرت الأم ان تصارح ابنها بأنه يضيع ايامه ولياليه في صحبة زوجته ولا يفعل شيئا .

وشعر «امبره» بالأسى والخجل وتوجه الى قبطان السفينة على الفور وطلب منه ان يسـتعد للرحيل في الصباح الباكر الى مدينة يوجان .

وعندما عاد الى زوجته في المساء لاحظت شحوب وجهه فغاص قلبها بين جنبيها وسألته عما حدث فأجابها : ان الرجل يجب ان يعمل ويكتسب وأشعرها بالخجل من نفسه.. يجب أن تستعدي بأحاسيس الفراق وارجو أن تبتسمي وانت تقولين لي مع السلامة.

وصاحت : كيف لي أن أعيش بدونك .. خذني معك .

فأجابها : ان مكانك في المنزل وليس في السفينة .. تجملي بالصبر وسأعود اليك ثانية .

وفي ذلك المساء لم يغمض لهما جفن .. وفي الصباح الباكر أبحر «امبره» دون أن يعمل حسابا لفرط تعجله ـ لحالة الطقس.. كان هناك ضباب كثيف على الشاطئ، ولم يكن يستطيع اكثر البحارة خوفا ومهارة ان يغامر بالابحار فيه .. وضلت السفينة طريقها وسط الضباب مدة أربعة أيام وعندما اقتربت بعدها من أحد الموانى كان الليل قد اقبل واخذت الظلمة تتكاثف واستبان الجميع لفرط دهشتهم أن السفينة قد عادت الى سافيابور ميناء الاقلاع وشعر القبطان بالخجل وأمر بعدم الرسو وبالاقلاع في الصباح قبل أن يستيقظ الناس ولكن امبره غادر السفينة بمفرده

وتسلل تحت جنح الظلام الى منزله وكادت زوجته تجن فرحا بعودته والقت بنفسها بين ذراعيه .. وامضى امير الليل في منزله وفي الصباح عاد سرا الى السفينة .

وعندما استيقظت شقيقته بيغاليا في الصباح لاحظت أن باب حجرة بيهوليا مفتوح فدارت في رأسها الوساوس والظنون وتوجهت مع امها الى حجرة الزوجة وأيقظتاها وقالت بيغاليا انها قد دنست المنزل وسألتها في تحد أن تذكر مع من أمضت ليلتها .

واقسمت الزوجة ان زوجها ولا شخص غيره هو الذي امضى الليل ولكنها لم تجد من يصدقها ، ذلك ان أحدا لم يلحظ دخول السفينة الى الميناء .

ودار البحث في كيفية عقابها .. هل ترمى في البحر أم يرمى بها الى الكلاب .. ولكن حماتها تدخلت وطلبت الابقاء على حياتها على أن تعمل خادمة في المنزل .

وحرمت الزوجة من حليها ومجوهراتها وظلت تعمل ليل نهار لمدة عام قاست خلاله من سوء التغذية ومن الاهانات دون أن يبدو لها بريق امل في عودة زوجها .

وذات يوم ذهبت الى الشاطىء لتملأ الأواني بالماء .. ولما كان الجو حارا والمكان خاليا فقد تركت الأواني على الشاطىء ونزلت الى الماء وأخذت تسبح .

وفي تلك اللحظة كان هناك تاجر يمر بسفينته قرب الشاطىء ويستعد لدخول الميناء فأخذ بجمال هذه الحسناء التي تسبح بجوار الشاطىء وعقد العزم على أن يستحوذ عليها فأمر رجاله أن يتوجهوا اليها ويحضروها .. وأنزل الرجال قاربا الى الماء عاد بعد لحظات وبه الصيد الثمين .

وكان المكان مهجورا فذهبت صيحاتها للاستغاثة أدراج الرياح .

وخشي التاجر أن يفقد حسناءه فعدل عن النزول الى الشاطىء وأسرع بالابحار بعيدا .

وكانت بيهوليا حزينة لهذا المصير الذي ساقتها اليه المقادير .. وأبت أن تأكل وتشرب .. ووجد التاجر أن من الحكمة أن يبتعد عنها ويتركها وحيدة بعض الوقت .. ولكن ما أن حل الظلام وأصبحت السفينة بعيدة عن الشاطىء حتى اقترب منها وأخذ يتودد اليها قائلا (سآخذك الى بلدي كانادي حيث أملك ضياعا شاسعة وقصرا عظيما .. اقبلي أن تكوني زوجتي وسيكون ذلك كله ملكا لك ..)

وردت عليه (ولكنني متزوجة فعلا .. زوجي اسمه أمير) .

وما أن سمع هذا الاسم حتى أجفل وقال في خبث (تأكدي يا سيدتي مما سأقوله لك .. ان زوجك قد قضى نحبه في ميناء غازيل بالنار من يومين اثنين وقد شهدت جنازته) .

لكن الزوجة الوفية رفضت أن تصدقه أو تستمع اليه ، فتحول عنها .. وبعد بضع ليال عاود الكرة واقترب منها .. كان الوقت متأخرا .. والجميع نائمون .. لكن الحسناء الصغيرة كانت مستيقظة أسيرة للخواطر والأفكار المثيرة .

وقال لها التاجر في لطف ، اطردي من ذهنك حبيبك وكوني لي ، وحاول أن يقبلها ففزعت ولكن خاطرا قفز الى ذهنها فقالت في هدوء ، دعني أقضي فترة الحداد على زوجي في هدوء .. وأنا كامرأة مسلمة ملزمة بالعدة ومدتها أربعة أشهر وعشرة أيام تماما ، تستطيع بعدها أن تتزوجني .. لكن اذا حاولت أن تقترب مني قبل ذلك فسأقتل نفسي) .

وفكر التاجر مليا وفي النهاية استسلم للأمر وانسحب في هدوء ..

والآن فلنعد الى أمير لنرى ماذا أصابه .. فعندما غادر سافابور للمرة الثانية وصل سالما الى مدينة يوجان وكان الحظ حليفه فكون ثروة ضخمة من التجارة وكان سعيدا جدا بما حققه من النجاح ومرت شهور عديدة قبل أن يفكر في العودة الى أرض الوطن .

وذات يوم رأى في المنام حلما غريبا عن زوجته أزعجه وجعله غير مرتاح البال فصمم على العودة الى بلده على الفور وأبحرت السفينة بأقصى سرعة فوصلت سافابور في وقت قصير .

وهرول أمير الى منزله .. وغاص قلبه بين جنبيه عندما قوبل بالصمت والدموع وأقبلت عليه أخته تواسيه وفي عينيها الدموع (يجب أن تشكر الله على أن بيهوليا المجرمة لم تعد تعيش بين ظهرانينا ويجب أن تنساها يا أخي وتزوج فتاة أخرى جميلة وعش سعيدا من جديد) .

وتساءل أمير في حزن بالغ (ولكن أين هي .. ماذا فعلتم بها ..)

وأجابته أخته (لقد ماتت من ثلاثة أيام فقط) .

فقال لهم (اذهبوا بي الى قبرها) وردت أخته : قبرها عند الشاطىء .

وذهب أمير ليرى القبر الجديد على الشاطىء .. وأخذ ينبش القبر وقد طير الحزن عقله .. ولدهشته وجد في القبر جثة كلب أسود .

وعلى الفور تكشفت أمامه الحقيقة سافرة .. لقد كانت زوجته ضحية .. ضحية القسوة والمؤامرات وترك كل شيء .. أمواله وعشيرته وبلده .. وذهب يبحث عن محبوبته .

وظل يتنقل فترة طويلة عبر الأقاليم يجتاز الأنهار والقنوات والجبال والغابات حتى وصل الى قرية نائية حيث يعيش موسيقي شهير يقول الناس أن لموسيقاه قوة خارقة تحيل النمر المفترس حيوانا أليفا وتجعل النهر المتدفق يغير مجراه .

ذهب اليه أمير وروى له قصته ورجاه أن يقبله تلميذا له .. وقال له الرجل العجوز الحكيم برفق (انك لم تكن تستطيع أن تفعل شيئا أفضل من الحضور الي) .

وصنع الموسيقي لتلميذه الجديد آلة موسيقية خاصة أفرغ فيها كل مهارته وكان لها نغم رائع وعندما يجرى القوس على أوتارها يصدر منها صوت أشبه بصوت شخص ينادي بيهوليا . وترك أمير أستاذه وأخذ آلته الموسيقية معه وذهب يتنقل من حي

الى حى ومن بلد الى بلد يعزف نفس اللحن مرة ومرات والدموع تنساب من عينيه .

وبعد فترة من الزمن وصـــل الى مدينة كاتانى حيث حبس التاجر الزوجة فى منزله وقد حملت الصدفة امير الى منزل التاجر عندما كان يقول لبيهوليا (لقد انقضت الآن فترة الحداد ومرت فترة العدة ويجب أن توفى بعهدك بالزواج منى) .

واطرقت المرأة برأسها الى الارض ولم تقل شيئا واخذ التاجر اطراقها على انه موافقة وكاد يطير من الفرحة .. وفى تلك اللحظة وصل الى اذنيها اللحن الذى يردد اسمها .. ففزعت وخرجت الى الشرفة فشاهدت متسولا فقيرا يعزف على آلة موسيقية ..

التقت عيناهما وفى لحظات تعرف كل منهما على الآخر .

وعادت بيهوليا الى التاجر ورجته ان يأذن باطعـــام المتسول وايوائه لأن مظهره يبعث على الشفقة ويدعو الى الرثاء .

وفى جوف الليل غادرت حجرتها فى هدوء وتوجهت الى حيث كان يستلقى زوجها مستيقظا فى ركن من أركان المنزل وفى صوت هامس روى كل منهما للآخر ما مر به من أحداث .

قالت بيهوليا (ان الليل سينقشع عما قليل .. وسنفر من القصر على الفور) .

ولكن امير اجابها (انني أمين ولا استطيع ان أسرقك كما فعل هذا التاجر) .

وفى الصباح الباكر توجه امير الى الحاكم وقدم له عريضـــة ضمنها شكواه ضد التاجر فأمر الحاكم باحضار التاجر مقبوضا عليه .

وقال التاجر (ان هذا الشخص شحاذ دنىء .. يدخل بيوت الناس بحجة العـــزف على آلته الموسيقية ثم يعمـــل على اغواء زوجاتهم ..) وعندما سمع الحاكم ذلك امر باحضار الزوجة وما ان رآها الحاكم حتى بهره جمالها ورغم أنه كان فى التســعين من عمره الا أنه كاد يجن لوجود امرأة جميلة بجانبه ..

وسألها فى رفق (خبرينى يا سيدتى العزيزة .. أى الرجلين زوجك ؟)

ودون ماتردد قالت (سيدى .. ان هذا الشحاذ هو زوجى وسيد قلبى) .

فنظر الحاكم الى التاجر فى غضب وامر بطرده من القصر على الفور ثم التفت الى امير قائلا (انك لست الشخص المناسب لمثل هذه السيدة .. اذا سلمتها لك الآن فسيسلبها منك شـــخص آخر . .)

غدا سآتى الى طالبا استعادتها ثانية .. اتركها فى حمايتى.. وسأوفر لها ما هى جديرة به من رعاية وعناية) .

وقبل ان ينبس امير ببنت شفة كان قد اخرج بالقـوة من سراى الحاكم .

ولم يجد امير ما يفعله سوى أن يتوجه الى بلده يلتمس من قومه الرأى والمعونة .

وفى مدينة سافيابور عرف اهل امير وعشيرته القصة كاملة فانتابهم شعور بالأسى والخجل وعقدوا العزم على اصلاح ماحدث من اخطاء فى حق زوجته .

وعلى الفور عبىء الجيش وجهزت قافلة من اربع عشرة سفينة حملت ثلاث عشرة منها الفرق العسكرية والتموين والامدادات اللازمة لاستمرار الحرب ستة شهور تباعا وحملت السفينة الاخيرة نسخا من القرآن والكتب الدينية .

واثناء ذلك وصل الى علم الحاكم أن الشحاذ الذى طرده ليس الا « أمير الذى تمتلك أسرته ميناء سافيابور وأنه عائد اليـــه بجيش كبير ليســـترد زوجته فتملكه الرعب وأسرع الى منزل التاجر وقال له (لقـــد سببت لى متاعب كثيرة .. ورغبت على أنى شيخ عجوز وهى تحبك بالفعل وأنا أود أن أبعث بها اليك ولكنها للأسف متوعكة الآن بعض الشىء ..)

وعندئذ وصل الى مسامعه هدير من ناحية الشاطىء وصاح التاجر بالحقيقة .. ان أمير قادم للغزو فاخذ التاجر ، لكنه أيقن ان لا سبيل امامه الا أن يلحق بقوات الحاكم للدفاع عن مدينتهم واستمرت المعركة سبعة أيام قتل خلالها مئات من الناس وفى النهاية لحقت الهزيمة بقوات الحاكم وقوات التاجر معها .. وقبض على التاجر وأتى به الى امير فأمر باعدامه على الفور اما الحاكم فقد عفا أمير عنه رفقا بشيخوخته .

وعلم أمير من الحاكم أن بيهوليا محتجزة فى قصره وعنـــدما توجه اليها تملكه الرعب .

كانت تبدو فى اشد حالات المرض والضعف .. لقد أبت المسكينة لفرط حزنها أن تأكل أو تشرب حتى فقدت عقلها .

وحملها امير الى ظهر السفينة وامسك بيديها فى تأثر بالغ ولكنها حملقت فيه دون أن تحمل نظراتها أى معنى .

وفى ميـنــاء سافيابور كان هناك احتفـــال كبير بمناسبة الانتصارات التى حققها امير وعودة السفن جميعها سالمة الى ارض الوطن ، لكن الأهالى المحتشدين فى الميناء لم يكونوا يعرفون أن احدى هذه السفن تحمل جثمان بيهوليا التى لفظت آخر انفاسها على مقربة من شاطىء سافيابور .

وكان حزن امير عظيما لدرجة انه فقد كل رغبة فى الحياة.. كان اثناء النهار يرى بجوار قبر محبوبته وفى الليل يتردد صدى اللحن الذى ينادى بيهوليا .

وحتى فى هـــذه الأيام عندما يصـــطدم موج البحر بشاطىء سافيابور فى جوف الليل .. يسمع صوت كأنه ينادى فى رفق بيهوليا .. بيهوليا .

فوزى عبد القادر الميلادى



العدد ٩٧

الثمن ٣

الدار القومية للطباعة والنشر